إسماع الأصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم

للشيخ محمد أبي راس الناصر المعسكري

المتوفى 1238 هـ

الأمثال والحكم عند علماء المغرب الأوسط

دراسة وتعليق وتحقيق

الدكتور حمادو بن عمر الدكتورة بوسلاح فايزة

دار الكتب العلمية®
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

الكتاب: إسماع الأصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم

Title: 'ISMĀʿ AL-'AṢAM WA ŠIFĀ' AS-SAQAM FĪ AL-'AMṬĀL WAL-ḤIKAM

التصنيف: أدب - أمثال وحكم

Classificaton: Literature - Proverbs and Adage

المؤلف: الشيخ محمد أبو راس الناصر المعسكري (ت ١٢٣٨ هـ)

Author: Al-Shaykh Mohammed Abu Ras Al-Naser Al-Moaaskary (D. 1238 H.)

المحقق: الدكتور حمدادو بن عمر
والدكتورة فايزة بوسلاح

Editor: Dr. Hamdadou BenAmar
And: Dr. Faiza Bouslah

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages	160	عدد الصفحات
Size	17 x 24 cm	قياس الصفحات
Year	2019 A. D. - 1440 H.	سنة الطباعة
Printed in	Lebanon	بلد الطباعة لبنان
Edition	1st	الطبعة الأولى

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٠٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٩٦١+
فاكس: ٠٥ ٨٠٤٨١٣ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤-١١ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

ISBN 978-2-7451-8747-5

sales@al-ilmiyah
info@al-ilmiyah.com
http://www.al-ilmiyah.com

جميع الحقوق محفوظة
2019 A. D. - 1440 H.

﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ

وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾

سورة العنكبوت، الآية: 43

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

يعتبر الأديب والمؤرخ محمد بن أحمد أبو راس الناصر المعسكري (ت: 1824م)، مؤلف كتاب" إسماع الأصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم" من كبار علماء الراشدية (معسكر) المشهورين؛ الذين ذاع صيتهم مشرقا ومغربا، لا سيما خلال فترة الحكم العثماني بالجزائر.

وقد اشتهر محمد أبو راس الناصر المعسكري بباعه الطويل في الأدب والتاريخ وغيرها من الفنون الأخرى. ومن أشهر إنتاجاته " زهر الشماريخ في علم التاريخ" الذي يعمل مركز البحوث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بوهران على نشر جزء منه، وكتابه "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، وكتابه "الخبر المعرب عن المغرب الحال بالأندلس وثغور المغرب". أمّا في مجال الأدب فأبرزها "الدرّة الأنيقة في شرح العقيقة" والتي تم تحقيقها مؤخراً من طرف الباحث أمين دلاي بمركز البحوث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بوهران. إلى جانب كتاب" الدرة اليتيمة في شرح المكودي على الألفية"، ثم الكتاب الذي بين أيدينا "إسماع الأصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم". والذي هو في الأصل شرح أدبي ولغوي وضعه أبو راس على كتاب صغير في الحكم والمواعظ والآداب والأمثال بطلب من صاحبه مسلم بن عبد القادر، وكان قد أنهاه عام 1234هـ/ 1819م.

ثم إنّ اقتحام أبي راس الناصر مثل هذه المواضيع الطريفة، ينمّ عن مدى تأثره باللغة العربية، ومحاولته لفت انتباه القارئ إلى أهمية دراسة

الأمثال والحكم العربية، والرجوع إلى روافد الثقافة الإسلامية الأولى، يستقي منها ما يناسبه ويخدم فكره. فكان إنتاجه غزيراً في فنون العلم المختلفة لا سيما في التاريخ والأدب.

أمّا عن اهتمام المسلمين بالأمثال والحكم ومحاولة تدوينها؛ فيرجع إلى أبي عمرو بن العلاء (ت145هـ)، والمفضل الضبي (ت170هـ)، والأصمعي (ت216هـ)، وابن السكيت (ت243هـ)، وأبي هلال العسكري (ت بعد395هـ)، وغيرهم من الرواة والإخباريين القدامى، "فرويت الأمثال ضمن أيام العرب وأشعارها، وأخبار فرسانها وأجوادها وأقيالها وصعاليكها"[1]. وفي القرون التالية راح اللغويون يفردون تآليف تهتم بالأمثال والحكم، فاشتهر منها معجم الأمثال للميداني (ت518هـ)، إلى أن وصل تأليف تلك الأمثال عند مسلم بن عبد القادر وأبي راس الناصر اللذين برزا خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين.

ويأتي أبو راس الناصر خلال العهد العثماني- الذي وُصِفَ بالجمود الفكري والانحطاط اللغوي-، ليؤلف كتاباً أو يشرحه في الأمثال والحكم. وعلى العموم تبقى هذه الأمثال مصدراً مهما للغة العربية؛ حيث تكمن أهميتها فيما شملته من غريب اللفظ وجمال الأسلوب، إلى جانب احتوائها على صور بيانية ومحسنات بديعية، تعكس صدق العرب وآدابهم. حيث إن وراء كل مثل قصة تحكي الأحداث والوقائع تؤخذ العبرة منها.

أ- مخطوط إسماع الأصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم:

إنّ مخطوط "إسماع الأصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم" لأبي

(1) الحسن اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1981، ج1،(مقدمة التحقيق) ص: 5.

راس الناصر المعسكري، كتاب مهم وقيّم حوى مجموعة من الحكم والمواعظ؛ رتبها على حروف المعجم، وجعلها ثمانية وعشرين فصلاً على عدد منازل القمر. ونزولا عند رغبة مسلم بن عبد القادر يذكر الباحث صادق بن قادة أنّ أبا راس الناصر جمع هذه الأمثال والحكم في كتاب سمّاه "كشف النقاب ورفع الحجاب عن أمثال سائرة وحكم باهرة ومواعظ زاجرة"[1].

وتابع أبو راس الناصر هذا الكتاب بشرح له سمّاه " إسماع الأصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم"، هذا ما أشار إليه أبو القاسم سعد الله في كتاب تاريخ الجزائر الثقافي.

ليس ثمة أدنى شك في أنّ هذا المخطوط من وضع أبي راس الناصر المعسكري، أما فيما يخص عنوان المخطوط وهو "إسماع الأصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم"، فلم نعثر على مخطوط ضمن قائمة مؤلفاته التي وضعها مترجموه أو المحدثون أو حتى ضمن كتبه الأخرى ككتاب فتح الإله ومتنه أو كتاب شمس معارف التكاليف، غير أنّ النسخة التي بين أيدينا تشير إلى أنّ الكتاب لأبي راس" قال مؤلف هذه النبذة المبعوضة، التي هي من كل حلم ملفوظة، المذنب القاصر أبو راس بن الناصر..."[2].

ثمّ إنّ إشارة أبي القاسم سعد الله ضمن كتابه السالف الذكر، تؤكد صحة نسبة هذا المخطوط لأبي راس الناصر بدليل قوله: " ولأبي راس

(1) صادق بن قادة، الذاكرة المكتوبة والتاريخ: أضواء جديدة حول شخصية مسلم بن عبد القادر الوهراني أديب ومؤرخ بايات وهران (القرن 13هـ/ 19م)، مجلة إنسانيات، مركز البحوث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بوهران، ع28، 2005، ص ص: 35-45.

(2) أبو راس الناصر، إسماع الأصم، و43.

أيضا شرح أدبي لغوي...فقد ألف مسلم بن عبد القادر كتاباً صغيراً في الحكم والمواعظ والآداب والأمثال"[1].

وبعد القراءة المتأنية والمتكررة للمخطوط تمّ تذليل الكثير من الصعوبات وفكّ خطّ النسخة وتصحيح بعض المفردات، حيث كان اعتمادنا على النسخة الموجودة بخزانة القصر الملكي بالرباط بالمملكة المغربية، والمسجّلة تحت رقم: 5553 في أربع وأربعين ورقة.

يستفاد من محتوى المخطوط أنه من المؤلفات الأخيرة التي وضعها أبو راس الناصر، حيث يذكر أبو راس "أن هذه النسخة تعود إلى سنة 1234هـ/ 1819م، أي أثناء حياة أبي راس، وقد تكون آخر ما ألّف".

يحتوي المخطوط على معلومات قيّمة وهامة ذات شرح أدبي ولغوي، وضعه أبو راس على كتاب صغير ألفه مسلم بن عبد القادر كما سبق الإشارة إلى ذلك من قبل، هذا الأخير الذي طلب من أبي راس الناصر أن يضع شرحاً له " هذا وأنّ المصّر المذكور، مُؤلِّف هذه الرسالة المزبور، كلفني شرحها واسترعاني سرحها...فلم أقابل أمره بالإهمال..."[2].

كما يشيد أبو راس الناصر بشخصية مسلم بن عبد القادر في ديباجة الشرح "أنّ العلماء قد سبق لهم أن ألفوا في الحكم والمواعظ إلى أن خلت الدّيار بعدهم، حتى رمى الدّهر العقيم بواحد من صميم آل حمير وكهلان الأماجد، وممن انقادت إليهم أزمة ذوي الأقدار والمقادر، السيد مسلم بن عبد القادر، فإنّه من أجلّ أدباء هذا الزمان، وأحرزهم لقصب

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1981، ج2، ص: 187.

(2) أبو راس الناصر، إسماع الأصم، و: 2ظ.

السبق في هذا الميدان، فإنه أتى من درر النظم والنثر ما يقصر عنه أهل العصر"[1].

إنّ الجديد الذي يحمله هذا المخطوط، يتمثل في عدة جوانب منها أنّ المخطوط يحتوي على درر ونفائس قيمة من الحكم والمواعظ، وهذا " ما يقتضيه المقام من المواعظ المبكية والمفاكهات، أو ما يدلّ على أسلوب البلغاء في بعض المطارحات".

ومنها أيضا أنّ هذا المخطوط ضمّنه صاحبه أشعارا وأمثالا ومأثورات من القصص القرآني والحديث النبوي والحكم، ويذكرها مرتبة على حروف المعجم واحداً بعد الآخر، مبتدئا بحرف الألف: " أَدَبُكَ ثَوبُكَ، وَوَجْهُكَ عَرْضُكَ، وَالأَدَبُ سِلَاحُ زَمَانِ الكِّفَاحِ". ثمّ حرف الباء: " بُرُّكَ بَذْرُكَ، فَمَا نَبَتَ زَرْعُكَ، البَذْرُ بُرٌّ، إذَا كَانَ المَطَر"، وهكذا على ترتيب حروف المعجم كما ذكرنا آنفا.

كما يجسّد المخطوط مظهراً من مظاهر النشاط الثقافي والعلمي للمؤلف، والمتمثل أساسا في دراسة الأمثال والحكم الشعبية السائدة آنذاك، رغم أنّ عباراته فصيحة.

ويحتوي المخطوط أيضاً على مجموعة كبيرة من القصائد والمقاطعات من نظم المؤلف وأدباء وعلماء ممن سبقه. والكثير من هذه المجموعة الشعرية جاء في فن المدح، فنرى في كثير من الأحيان الاستشهاد بها بما يناسب موضوع المثل أو الحكمة.

ولم يخل المخطوط من الإشارات والمعلومات التاريخية المهمة، والتي جاءت متناثرة في ثناياه، إلى جانب استعمال المؤلف لبعض

(1) إسماع الأصم، المصدر السابق، و: 2ظ.

المصطلحات التنبيهية مثل: "غريبة"، "عجيبة"، "تنبيه"، "طريفة"، "لطيفة"، "يحكى"، وكلّها تصبّ في قالب أدبيّ ولغويّ واحد.

وما يمكن الإشارة إليه في الأخير هو أنّ أسلوب أبي راس الناصر في هذا المخطوط يختلف عن أسلوبه في بقية مؤلفاته الأخرى،" ولذلك جاء شرحه مختصراً، ولا يدل على براعته المعهودة ولا على غزارة حفظه، وذلك حين يستعمل بعض الكلمات منها: "يرى المصّر"، "يقول المصر"،" يريد المصر"، وهكذا". وهنا يبرز الفرق بين تأليف مخطوط من إنشاء المؤلف نفسه، وبين شرح تأليف لغير المؤلف.

وعلى العموم فإنّ أبا راس الناصر له الفضل الكبير في شرح هذا التأليف القيم، خصوصا لأحد الأدباء ممن عاصروه. وأحد المقربين من السلطة العثمانية. (كاتب الباي).

ب – نسخة المخطوط:

إنّ النسخة الوحيدة التي تمّ الاعتماد عليها في التحقيق، هي نسخة مصوّرة عن النسخة الموجودة بخزانة القصر الملكي بالرباط، تحت رقم: 5553، وكما قال أحد الباحثين: "لأنّ البحث عن نسخة أخرى في المكتبات الخاصة والعامة لم يجدِ نفعاً، وكانت الحصيلة من كل هذا الجهد الذي بذل في هذا الشأن النسخة المشار إليها".

وتعد هذه النسخة من أحسن النسخ قراءة، حيث يوجد بها تمليك للعبّاس بن أمير المؤمنين، ممّا يدلّ على أهميتها وقيمتها العلمية، وهو ممّا دأب عليه الملوك والأمراء وأبناؤهم الذين يشتغلون بالعلم وبمحبذة العلماء والأولياء. وتحمل هذه النسخة وقيع المؤلف نفسه:" قال مؤلف هذه النبذة المبعوظة التي هي من كلّ علم ملفوظة، المذنب القاصر أبو راس بن النّاصر"، كما حوت تاريخ الانتهاء من تأليف هذه النسخة أوائل

ذي الحجة الحرام سنة 1234هـ/ 1819م. والغالب على الظن أنّ النسخة بخط يد المؤلف، كما أشار إلى ذلك أبو القاسم سعد الله.

وفيما يلي جملة من النقاط تتعلق بحالة المخطوط:

1 - يقع المخطوط في أربع وأربعين ورقة (88 صفحة) مقاسه 19x11، وهو مكتوب بخط مغربي واضح ومقروء عموماً، ولكن بعض أوراقه صعبة القراءة. وهو مرقم ترقيماً متسلسلاً، والأرقام مكتوبة بالعربي وعلى وجه وظهر كل ورقة.

2 - هناك تمليك لشخص يدعى العباس بن أمير المؤمنين، وهذا يدلّ كما ذكرنا آنفاً على القيمة العلمية لهذه النسخة.

3 - هناك توحيد كامل لعدد أسطر صفحات المخطوط البالغ عددها 20 سطراً في كل صفحة.

4 - لغة المخطوط سليمة من الأخطاء الإملائية والنحوية والتي تكاد تخلو منها.

5 - المخطوط يحوي الكثير من التعقيبات والتعليقات والتصويبات في الهامش.

ج- عملنا في التحقيق:

إنّ اقتناعنا بفائدة وأهمية تحقيق هذا المخطوط، رغم عدم حصولنا على نسخ أخرى، وإيماناً منا بأهمية تحقيق تراثنا العربي والإسلامي عموماً، وإخراج تراث أبي راس الناصر المعسكري خصوصاً، وكما قال أبو القاسم سعد الله: " إنّ شحّ بعض الناس بما عندهم من مخطوطات قد يؤخر نشر مخطوط ما، ولكنّه لا يستطيع أن يمنعه من الظهور إلى الأبد".

وها نحن بمشيئة الله تعالى نخرج واحدا من تلك الكنوز الدفينة التي تزخر بها مكتباتنا وخزائن علمائنا، وبعد قراءتنا المتكررة للمخطوط خلصنا إلى ما يلي:

1 - قسمنا المتن إلى فقرات وقصائد شعرية تخدم المعنى، ونبهنا على الانتقال من صفحة إلى أخرى في أصل المخطوط، وذلك بإثبات رقم الصفحة بين خطين مائلين هكذا (//).

2 - احتفظنا بالعناوين التي كانت جانبية ووضعناها بين معقوفتين وسط المتن والصفحة، وهي كثيرة.

3 - إنّ تدخلنا في النص بشكل من الأشكال، نبهنا على ذلك بعبارة "في الأصل هكذا".

4 - جميع الهوامش من وضعنا، ما عدا المشار إليه في موضعه، حيث لم نشأ أن نثقل الهوامش بالشروح اللغوية مكتفين بتشكيل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والأمثال والحكم والأبيات الشعرية، وتوثيق بعض أعلام الأشخاص والقبائل والأماكن، ليقرأها القارئ قراءة سليمة، تاركينَ المجال فسيحاً أمام الدراس للبحث عن المادة اللغوية والأدبية ضمن مظانها لتعم الفائدة. وضعنا للكتاب فهارس ضرورية.

د- مصادر مؤلف المخطوط:

تنوّعت مصادر أبي راس الناصر في تأليفه "إسماع الأصم" بين المصادر الأدبية واللغوية والفقهية والتاريخية والعقائدية، وذلك نظراً لما يحمله من إشارات ومعلومات متعددة وفي فنون مختلفة، ومن بين تلك المصادر التي وردت الإشارة إليها في ثنايا المخطوط نذكر ما يلي:

من تلك المصادر بعد القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، كتاب «صحيح البخاري» لإسماعيل البخاري وهو يعد من المصادر الصّحاح، إلى جانب كتاب «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» لشهاب الدين أبي العباس القسطلاني، وكتاب «طبقات الشافعية الكبرى» لتاج الدين السبكي، وكتاب «سمط اللآل في التعريف بما في الشفا من الرجال» لأبي عبد الله محمد بن علي قويسم التونسي، وكتاب «نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض» لشهاب الدين الخفاجي. إلى جانب بعض كتب التراجم مثل كتاب «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» لشمس الدين ابن خلكان، كتاب «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» لأحمد بابا التنبكتي.

أمّا بالنسبة للمصادر الفقهية فنذكر كتاب «الدر المكنزنة في نوازل مازونة» لأبي زكريا المازوني. كتاب «موطأ الإمام مالك» لمالك بن أنس، وكتاب «الدرة الأنيقة في شرح العقيقة» لأبي راس الناصر، وكتابه «الشقائق النعمانية في شرح الروضة السّلوانية»، وكتاب «شرح الشبرخيتي علي مختصر خليل» لإبراهيم الشبرخيتي، وكتاب «جواهر الدرر في حل ألفاظ المختصر» لمحمد شمس الدين التتائي.

أمّا بالنسبة لكتب اللغة والأدب فنذكر على سبيل المثال كتاب «شرح لامية العجم» للدميري لكمال الدين الدميري، وكتاب «حاشية على شرح كبرى السنوسي» لأبي علي الحسن اليوسي، كتاب «مقصورة ابن دريد» لمحمد بن الحسن بن دريد، وكتاب «زهر الأكم في الأمثال والحكم» للحسن اليوسي، وكتاب «شرح المكودي على ألفية ابن مالك» لعبد الرحمن المكودي، وكتاب «مقامات الحريري» للقاسم بن علي الحريري، وكتاب «إعراب لامية الشنفرى» لأبي البقاء محبّ الدين عبدالله، وكتاب «العقد الفريد» لابن عبد ربّه، وكتاب «شرح ديوان النابغة الذبياني»

لمحمد بن إبراهيم الحضرمي، وكتاب «سيبويه» لعمرو بن عثمان بن قَنْبر سيبويه، وكتاب «حاشية على القاموس» للشيخ نور الدين بن علي الخزرجي المقدسي المعروف بابن غانم، وكتاب «شرح قصيدة بانت سعاد» لابن هشام الأنصاري، وكتاب «شرح الروضة السلوانية» لعبد الجبار الفجيجي، وكتاب «ديوان أبي الطّيب المتنبي»، وكتاب «الأغاني» لأبي فرج الأصفهاني، كتاب «شرح لامية الأفعال» لابن مالك النحوي، كتاب «شرح مقامات الحريري» للشريشي، كتاب «القاموس المحيط» للفيروزآبادي، وكتاب «الدر المهدي لغوثية أبي مهدي عيسى بن موسى التجيني» لأبي راس الناصر.

أمّا في مجال التاريخ فاقتصر على كتاب «تاريخ الرسل والملوك» لابن جرير الطبري، وكتاب «مختصر السيرة النبوية» لأحمد بن إبراهيم الواسطي، كتاب «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» لأحمد المقري، وكتاب «تاريخ الإسلام» للذهبي.

أمّا في مجال التصوّف فكان اعتماد أبي راس الناصر على «رسائل الجنيد» لأبي القاسم الجنيد، وكتاب «الحكم العطائية» لابن عطاء الله السكندري، وكتاب «الحكم الغوثية» لأبي مدين شعيب، وكتاب «الرسالة القشيرية» لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري.

وإننا إذ ننشر اليوم هذا الكتاب نرمي به إلى غايتين اثنتين، أولها "طلباً للسُّرعة من خوف عوائد الطوارق، وانتهازا للفرصة بين رقباء العوائق"، وتهدف الثانية إلى التعريف والتنويه بإنتاج عالم جزائري مغاربي، كان له ضلع متين في المساهمة بإضافة لبنة علمية في صرح اللغة العربية.

في الختام إننا نطمح إلى العثور على نسخة أخرى من المخطوط،

وعندها يمكننا المقارنة بين ما حققناه وما لم نطّلع عليه. كما لا يفوتنا أن نقدم شكرنا الخالص إلى الأستاذ الحاج عبد الكريم المشرفي الذي وفّر لنا نسخة المخطوط المصورة بالمملكة المغربية، وإلى عمال خزانة القصر الملكي بالرباط، وإلى الحاج الجيلالي الزاوي (المشرفي) على مساعدته لنا التي لا تعد ولا تحصى. دون أن ننسى أستاذنا الكريم الدكتور هيشور محمد على ما بذله من أجل أن يرى هذا المخطوط النور.

كما ندعو الله عزّ وجلّ أن يجعل جهدنا هذا خالصا لوجهه الكريم، وخدمة منا لتراثنا العربي والإسلامي.

السبت 07 ذو القعدة 1436هـ الموافق لـ 22 أوت 2015م
د. حمدادو بن عمر/ جامعة وهران1

التعريف بالمؤلف

حياته:

قبل أن ندخل في مضمون المخطوط ارتأينا أن نعطي تعريفا موجزا بصاحب المخطوط، وهي عادة دأب عليها جمهور المحققين من أجل إعطاء صورة واضحة عن شخصية المؤلف، والجو العام الذي تم فيه تأليف هذا المخطوط.

مولده:

ولد أبو راس محمد بن أحمد بن الناصر الراشدي، عام (1150هـ/ 1737م)[1]، بقلعة بني راشد قرب مدينة معسكر بالغرب الجزائري، بين جبل كر سوط وهونت، في منتصف القرن الثاني عشر للهجرة، وفي هذا يقول أبو راس عن مولده: "ولما ولدت بالموضع المار حملتني أمي، ووالدي إلى الشيخ الصالح الولي، الذي كاد أن يكون كالشيخ الجيلي، شيخ بعض شيوخي الشيخ بن موسى اللبوخي[2] فبارك عليه وأخبرني

(1) بعد تصفحنا لجل المصادر العربية والمراجع الأجنبية، تبين لنا أن هذا التاريخ هو الصحيح والمتفق عليه حول مولد أبي راس إلا في ثلاث مقالات فإنها تذكر تاريخا مختلفا تماما عن التاريخ السابق وتكاد تتفق عليه، وهو الثامن من صفر خمس وستون ومائة وألف هجرية (08 صفر 1155هـ/ أفريل 1755م). انظر: Ould Aboucha, Naciri, "Abou Ras Historien", Algérie Actualité. Oran, 01-02-1975, N 484. P: 15. وهناك تاريخ آخر: 1165هـ/ 1756م، مجلة الراشدية، عدد: 0 ماي 1995، ص: 13.

(2) هو أحد صلحاء اليعقوبية من بني يعقوب، والتي تبلغ بطونهم حوالي خمسة عشر بطنا، واليعقوبية قبيلة كبيرة تقع جنوب معسكر، وتمتد جنوبا إلى فرندة وسعيدة. عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان. ط؟، ص: 14.

بغيب خوارق وعادات تكون لي مودات من علم وعمل وصلاح، وغنى وحفظ وإصلاح، وشيخ طلبة، لفيف ودرس وخطابة وقضاء وتصنيف"[1]. ولأبي راس أخوان وأخت، فالأخوان هما: السيد عبد القادر[2]، والسيد بن عمر[3]، وهو الأخ الأكبر لأبي راس، وأخت اسمها حليمة[4].

ولذا فإن مولد أبي راس يعد بمثابة إشعاع علمي ظهر بمعسكر خصوصاً وبالجهة الغربية عموماً، إن لم نقل للعالم العربي كله، وهو ما دفع ببعض الباحثين والمؤرّخين من أن يفردوا فصولاً عن سيرته الذاتية، مثل: محمد بن عبد الكريم الجزائري الذي أقدم على تحقيق واحد من نفائس مخطوطات أبي راس[5] المندسية والنادرة في نفس الوقت. بالإضافة إلى عدة أجانب أمثال: الجنرال فوربيقي (G. Faure-Biguet)، والباحث: أرنود (M.Arnaud) الذي ترجم فصولاً عن رحلته.

شيوخه وإجازاته:

إنّ شخصية أبي راس شخصية فذة تعتز بها الدولة الجزائرية على وجه العموم والجهة الغربية من البلاد على وجه الخصوص، لما تمتاز به من دقة وتحريات للتواريخ الهامة ولا سيما فترة التواجد العثماني بالجزائر

(1) حبار مختار، السيرة الذاتية لأبي راس الناصر من خلال مخطوطه: "فتح الإله..." محاضرة ألقيت في ملتقى أبي راس عام 1997م بمعسكر، ص ص: 01-02.

(2) Ould Aboucha, P: 15. et G.faure Beguet. op. cit. P: 324.

(3) أبو راس، المصدر السابق، ص: 19.

(4) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء التاريخ الجزائري، ش و ن ت، القسم الأول، ط2، 1981، ص: 83.
وهنا يثني عليها أخوها أبو راس فيقول: "برّد الله ضريحها وأسكنها من الجنة فسيحها". انظر أبو راس، المصدر السابق، ص: 18.

(5) محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1980، ج7، ص: 2516.

من جهة وصراعها مع الأسبان من جهة أخرى ومما لا شك فيه فإن هذه الشخصية الكبيرة في أذهان المؤرخين والباحثين، والصغيرة بالنسبة للمنكرين والغير المبالين.

فإن أبا راس كسابقيه من العلماء تتلمذ على يد عدة شيوخ كان لهم الفضل الكبير في بروز شخصية فريدة من نوعها استطاعت بذكائها وكتاباتها التاريخية أن تحظى باهتمام الخلفاء في عصره ثم المؤرخين والباحثين من بعده. وقد أخذ أبو راس العلم على يد مجموعة من الشيوخ والعلماء والفقهاء الأجلّاء الذين أثّروا في ملكة أبي راس الفكرية والمعرفية، فأجيز وأجاز.

شيوخه[1]:

لعلّ من أبرز الشيوخ والعلماء الذين كانوا مصدر معرفة أبي راس الناصر، والذين كانوا بمثابة الحصن الحصين لتكوين ملكة أبي راس العلمية والمعرفية. هؤلاء العلماء الذين تفانوا في تعليم أبي راس والحرص على تكوين شخصيته، والذين بلغوا حوالي واحد وأربعين عالماً، أخذ عنهم فنوناً مختلفة. ولعل من أهمهم نذكر منهم على سبيل المثال:

1 - والده الشيخ أحمد بن أحمد: كما تقدم ذكره هو الشيخ أحمد ابن أحمد بن الناصر ينتهي نسبه إلى السيدة فاطمة بنت محمد ﷺ (عبر خمسة عشر جداً)، أخذ عليه -أبو راس- معظم المصحف الشريف بداية من سورة الانفطار ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾[2] إلى غاية الآية: 253 من سورة البقرة، والتي مطلعها ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾. وما شدّ انتباهي هنا وأنا أتفحص سيرته الذاتية، أن تواجده وسط أسرته القرآنية هو الذي جعله يختصر

(1) راجع: جورج دولفان، القول الأحوط في بيان ما تداول من العلوم وكتبها بالمغربين الأقصى والأوسط، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم: 3026، و و: 18-19.

(2) سورة الانفطار، الآية: 1.

المراحل الأولى من تعليمه حتى الحروف منها، فحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب[1].

2 - الشيخ عبد القادر المشرفي: هو الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي الذي كان يدعى بشيخ الجماعة وإمام الراشدية، ولد ونشأ بقرية الكرط قرب ولاية معسكر، تثقف على يد علماء المنطقة وبعدها عين مدرساً بمعهد الشيخ محيي الدين في زاوية القيطنة بوادي الحمام مدة من الزمن، وقد شارك في مقاومة نصارى الإسبان بوهران[2]، وألّف رسالة شهيرة كما عدّد وندّد بالقبائل المتعاونة معهم، توفي رحمه الله سنة 1192هـ/ 1778م بضواحي معسكر.

3 - الشيخ السيد العربي بن نافلة: هو الشيخ بن العربي بن نافلة الذي أفنى عمره بين تلاوة القرآن ودراسة العلم[3]، صاحب الأصول والفروع، حافظ معاني شيخنا سيدي خليل بن إسحاق المالكي، قرأ عليه المختصر ثلاث ختمات في ثلاث سنوات كما درس شيخنا على يد ابنه السيد أحمد بن نافلة، فكان هذا الأخير يفهّمه كل ما أشكل عليه من فهمه في مجلس أبيه[4].

4 - الشيخ محمد الصّادق بن أفغول: كان من أجلّاء أشياخي شيخنا، خبيراً بعلم الشريعة جامع بين العلم والدين، صاحب مدرسة مازونة الشهيرة، يقول عنه أبو راس: "انتهت إليه رئاسة التدريس، وشدّت إليه الرحال من زواوة وغريس". كان جامعاً للفنون وعلومها،

(1) أبو راس، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، ص: 42.
(2) فهرس الفهارس، المصدر السابق، ج2، ص: 577 - يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة، ص: 231.
(3) فتح الإله، المصدر السابق، ص: 44.
(4) عبد الوهاب، المرجع السابق: ص: 45.

وبارعا في معرفة الحديث على أهله منفرداً بهذا الفن النفيس في زمانه.

5 - الشيخ محمد بن جعدون قاضي مدينة الجزائر: هو شيخ الجماعة بالجزائر ابن عبد اللّه محمد، يقول عبد الحي: "وقفت على إجازة الشمس الحنفي له بالطريقة بتاريخ 1171م، وله ثبتٌ نسبه له الشيخ السنوسي"[1].

6 - الشيخ القاضي عبد الرحمن التلمساني: هو الشيخ محمد بن عبد الرحمن التلمساني القاضي من نسل عالم المذاهب الأربعة الشيخ أحمد بن الحاج المانوي، رحل إلى مصر أخذ عن الستمان ومحمود الكردي[2].

7 - الشيخ المفتي أحمد بن عمار: هو الشيخ أحمد بن عمار بن عبد الرحمن بن عمار الجزائري، اشتغل بالحديث والتاريخ، ولد ونشأ بمدينة الجزائر ووَلِي الإفتاء بها، له الرحلة الحجازية وغيرها من المؤلفات[3].

تلامذته:

بحكم ثقافته الموهوبة وهو الذي كان يلقّب كما أسلفنا بالحافظ، لا جرم أنه ترك للمجتمع الجزائري المثقف تراثاً غنياً والمتمثّل في ذلك العدد الهائل من التلاميذ درسوا وتعلموا على يد شيخنا سيدي أبي راس، ليتحولوا إلى علماء عظام ممتطين بساط شيخهم ومنوهين بعلمه وفضله، وهذا بطبيعة الحال فضل المتعلم على المعلّم، ومن جملة هؤلاء التلاميذ نذكر على سبيل المثال لا الحصر طائفة منهم:

(1) المرجع نفسه، ص: 04.
(2) أبو راس الناصر، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، ص: 44.
(3) معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ج1، ص: 31.

1 - الشيخ أبو حامد العربي المشرفي: هو العربي بن علي بن عبد القادر المشرفي الحسني الغريسي حفيد عبد القادر المشرفي شيخ أبي راس الناصر المعسكري[1] وصاحب الكتيب الموسوم بـ "بهجة الناظر"[2]. ولد العربي المشرفي بغريس بنواحي معسكر.

2 - الشيخ العربي بن السنوسي: هو محمد العربي بن السنوسي، كان يدرس القرآن الكريم برواية ورش، وسائر الفنون، أخذ عنه محمد ابن علي السنوسي وولده سيدي محمد.

3 - الشيخ محمد السنوسي (1202هـ/ 1276م): هو أبو عبد الله محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسيني الإدريسي مؤسس الطريقة السنوسية، ولد في مستغانم، ونشأ في بيت علم ودين وفضل فدرس علوماً متنوعة[3] من بين تآليفه: الدرر السنية في أخبار السلالة السنوسية (مطبوع)، والمسائل العشر المسماة: بغية المقاصد وخلاصة المراصد (مطبوع)، والشمس الشارقة في أسماء مشايخ المغاربة والمشارقة[4]. ولذا نجد محمد بن عيسى السنوسي يقول: "... ومنهم شيخنا وشيخ مشيختنا الهمام والحافظ، الإمام سيدي محمد أبو راس المعسكري البلد، الناصري المحتد رحمه الله، كنت أتردد إليه"[5].

4 - الشيخ محمد المصطفى بن عبد الله (ت 1215هـ/ 1800م): هو

(1) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج2، ص: 175.
(2) عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر، تحقيق: محمد بن عبد الكريم الجزائري، بيروت، لبنان، بدون تاريخ حوالي (1971م).
(3) منها علوم الشريعة واللغة ومذاهب الإسلامية، والطرق الصوفية إلى جانب الفلسفة والمنطق وعلوم الفلك، كما تنقل في سائر الأقطار العربية واطلع على الأحوال العامة والخاصة للشعوب الإسلامية.
(4) عبد القادر بن عيسى المستغانمي، مستغانم وأحوازها عبر العصور، المطبعة العلاوية مستغانم، ط1، 1996، ص: 97.
(5) المرجع نفسه، ص: 47.

الشيخ محمد المصطفى بن عبد الله بن زرفة الدحاوي من شرفاء غريس، وكان كاتباً للباي محمد بن عثمان، ومساعداً لرئيس رباط إيفري للطلبة قرب وهران وشارك بنفسه في الهجوم الشامل وتحرير مدينة وهران التحرير الثاني والنهائي عام 1792م،كما عيّن ابن زرفة قاضياً بها (وهران) إلى غاية (1800-1801م)[1].

5 - الشيخ عثمان الموسوي الهزاري (ت1238هـ): هو أبو عمرو عثمان بن محمود الهزاري نسبا، القادري طريقة، البغدادي منشأ وموطنا، قدم من بغداد واستقر بمدينة تازة المغربية فعرف بـ: "التازي"،أجازه أبو راس بثبته "السيف المنتضى فيما رويته بأسانيد الشيخ المرتضى"، والمرتضى الزبيدي أيضا من شيوخ أبي عمرو، ولكن أغفل عن ذكره في كتابه "المعجم المختص"، وممّن أخذوا عن أبي عمرو العلّامة الصوفي أبو عبد الله محمد الهاشمي بن الحاج علي بن أحمد الصادقي الرتبي الفاسي، وقد أجازه بسنده، وأسانيده مذكورة في الثبت الذي جمعه تلميذه وسمَّاه: " الفتح الوهبي فيمن أجاز لأخينا الحاج الهاشمي الرتبي" وفي هذا الثبت مجموعة من أسانيد تتصل بأبي راس المعسكري بواسطة تلميذه عثمان بن محمود الموسوي المتوفى سنة 1238هـ[2].

6 - الشيخ عبد القادر بن السنوسي: هو العلامة السنوسي بن عبد القادر بن السنوسي[3] بن عبد الله بن دحو بن زرفة، ومما مدح به شيخه أبا راس:

(1) يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ص: 233.

(2) عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس،ج1،ص ص: 151- 540،وج2،ص ص: 622، 920، 1062.

(3) المشرفي أبو محمد العربي بن عبد القادر الحسني، ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة، مخطوط بخزانة الشيخ محمودي البشير، ص: 20.

ذاك "أبــو راس" نــاصــر الــديــن الــنــاصــريّ طــلّاع الــثــنــاي
إن صَـعِـد الـكـرسـيّ تـعـرف سـمـوه فـاطـلـبـهُ قـبـل طـلـب الـمـنـايـا
ولا تــســر إلــيــه ذا تــوان كــم مــتــوان حُــرم الــعــنــايـا
بــل لا تــســر إلــيــه إلا جــدا تـفـد وتـكـسـي حـلـل الـهـنـايـا
فـهـو الـمـجـدد مـن غـيـر مـيـن أصـلـح مـا كـان مـن الـجـنـايـا
عـوّضـنـا الـلـه بـه الـسـيـوطـي فـاعـتـدنـا مـنـه شـيـمـا سـنـايـا

آثـاره العلمية:

لقد خلف أبو راس كتباً كثيرة في مجال التاريخ وغيره، بعضها موجود وبعضها مفقود، وقد ذكر أن مجموع تآليفه بلغت نحو الخمسين كتاباً في التفسير والتاريخ والأدب والتراجم والرحلات. وهناك من قال إن ما ألفه بلغ نحو 63 كتاباً، ونسب إليه 137 مصنفاً في مختلف الأغراض. بين كبير وصغير وبين تأليف وشرح وتعليق وتلخيص منها ما نشر ومنها ما زال محفوظاً، ومنها ما يعتبر في حكم المفقود.

وفاتــه:

لقد كانت وفاة هذا الشيخ العلّامة أبي راس الناصر، يوم الخامس عشر من شعبان من سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألف هجرية 1238هـ/ 1823م عن عمر يناهز التسعين سنة، ولقد صلّى عليه خلق كثير من الناس يؤمّهم تلميذه أحمد الدايج الملقّب بالخرشي الكبير عند الراشدية، وقد أحصاهم بعضهم بـ: ألف وخمسمائة (1500) نسمة، ودفن قرب داره بعقبة بابا علي بمعسكر حيث يوجد ضريحه الذي أقيمت عليه بناية قائمة إلى اليوم هي مزار للناس.

يقول الآغا المزاري: "توفي يوم الأربعاء خمسة عشر شعبان 1238هـ/ 1823م... وصلّى عليه العلامة الأسد الهايج، فريد وقته المعبر عنه بالراشدية بالخرشي الكبير، السيد أحمد الدايج ودفن بعقبة بابا علي

من معسكر، فنسبت له تلك التي اشتهر بها، وعلى ضريحه قبة، نفعها الله به وأورثنا منه محبة وقربة.

وفي تلك السنة رفع المطر عن العباد بعدما فرغوا من الحراثة إلى أن بقي للصيف شهر واحد في القول الذي ليس من أقوال الرثاثة، فأرسل الله مطره النافع للعباد وأزال بهم من التخمين والكساد، ونبت الحبّ وتمت الصيانة وحصدوا قسمين تلك السنة بصابة الشهر"[1].

وفي هذا الشأن يقول صاحب دليل الحيران وأنيس السهران: " وفي تلك السنة نفسها رُفع المطر عن العباد في إبانه، فتركت الناس الحرث في وقته وأوانه، ولما بقي للصيف نحو الشهر الواحد، أمطر الله العباد بالمطر النافع المتزايد فحرثت الناس فيه وحصدوا، وبلغت مناهم فشكروا مولاهم وحمدوا، فسميت السنة بصابة شهر، وتعاطى اسمها في البدو والحضر"[2].

(1) الآغا المزاري، طلوع سعد السعود، ص: 349.

(2) محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، ص: 240.

نماذج من صور المخطوط

اللوحة الأولى من مخطوط إسماع الأصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم لأبي راس الناصر المعسكري- خزانة القصر الملكي بالرباط المملكة المغربية. تحت رقم: 5553.

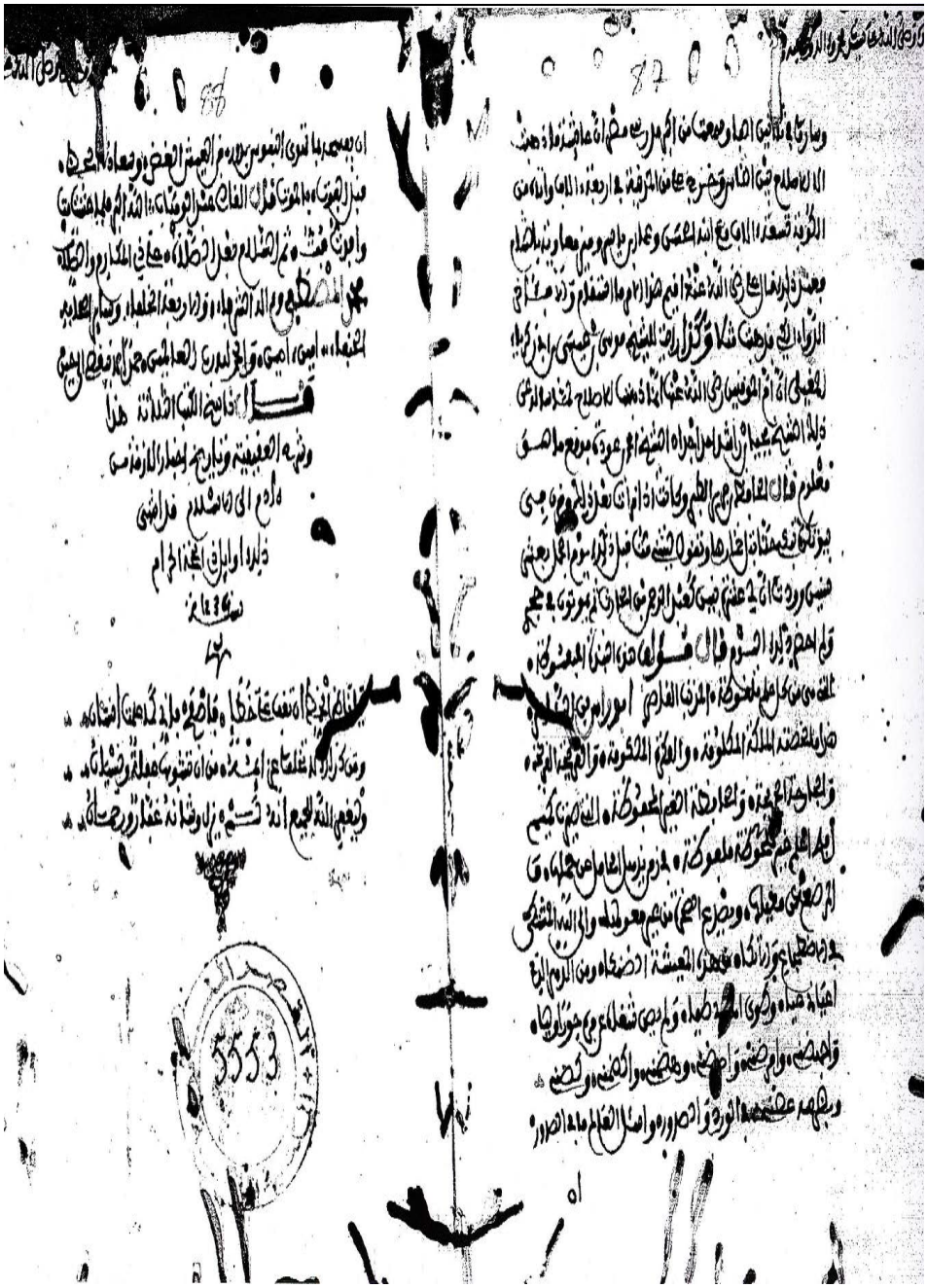

اللوحة الأخيرة من مخطوط إسماع الأصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم لأبي راس الناصر المعسكري- خزانة القصر الملكي بالرباط المملكة المغربية.
تحت رقم: 5553

إِسْمَاعُ الأَصَمِّ وَشِفَاءُ السَّقَمِ فِي الأَمْثَالِ وَالحِكَمِ
للشيخ أبي راس الناصر المعسكري (ت1823م)

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي ملأ صدور العالمين ملء الوطاب، بالحكمة البالغة، والحجج الدامغة، وفصل الخطاب، وأرشدهم لامتثال الأوامر، ولضرب المثل السّائر، وللمواعظ الحسنة، على مدّ الدهور والشهر والسنة، وأشهرها ما في الكتاب والسنّة، بجدّ لا كسل فيه ولا سنة، فهم الوُلاة الهُداة العاملون. قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[1]. أجزل الله ثوابهم وطهّر أثوابهم، ففي أبي الحسن على المدونة، وأشير إليه أيضا في كتاب المعونة، وفي أكمل الإكمال، أنّ في القرآن ألف آية عبر وأمثال.

وقد ألّف العلماء فيها وفي الحِكم والمواعظ، ما يقصر عن شأوه ابن سمعون الواعظ، وتلاسنهم في كل عصر عصابة، أهل دراية وإصابة، إلى أن جفّت الآثار، وناح البوم على الأوكار، وأزيل عنه الشّعار والدثار، بموت الجهابذة الأخيار، وصُمّ صدى الأخبار، فلا سائل ولا مجيب، ولا من يأتيك بشيء من هذا العلم العجيب، إلى أن رمى الدّهر العقيم بواحد من/ 1/ صميم آل حمير وكهلان، وممن انقادت إليهم أزمة ذوي الأقدار والمقادر، **السيد مسلم بن عبد القادر**، أصلح الله باله، ونفى وباله، فإنّه من أجلّ أدباء هذا الزمان، وأحرزهم لقصب السبق في

(1) سورة العنكبوت، الآية: 43.

هذا الميدان، فإنّه أتى من درر النظم والنثر، ما يقصر عنه أهل العصر، وينبئ عن عظيم شأنه بياناً وبيان، وليس الخبر كالعيان. فقد كان من عنفوان الشباب وذوي الآداب، قنّاصًا لشوارده، غوّاصًا على فرائده، فإن نثر زُينَت بنثره الزواهر، وإن نظم أُخِذ بمحاسن عقود الجواهر. إظهارًا لقدرته على تلك المعارف، وتحديثًا بنعم الله الذي ألهمه لإبراز تلك الدّقائق واللّطائف.

وأنّ من جملة تآليفه الأنيقة، وآدابه الرقيقة، وعواطفه الحسنة، وتصانيفه المستحسنة، ما أنعم الله عليه من تدوين الآداب والمواعظ والأمثال والحِكم. فلا يقال لفضل الله ذابكم، ما ألطفه من تأليف، وما أحسنه من تصنيف، يسّر الله تقريبه وتهذيبه، فإنّ على حروف المعجم جعل ترتيبه؛ فجعل ذلك ثمانية وعشرين فصلاً على عدد منازل القمر، لأنّه أسقط فصل الألف اللينية؛ لأنّها لا تكون لاماً، أي الكلمة في قابل التصريف إلّا مقلوبة عن واوٍ أو ياءٍ كالعصا والفتا.

هذا وأنّ المصّر المذكور، مؤلف هذه الرسالة المزبور؛ كلفني شرحها، واسترعاني سرحها، والتّصور على ممرّد قوارير صرحِها، والتمرّح في خمائل رفعها وطرحها، فلم أقابل أمره بالإهمال، ولم أسجّل على بنية غرضه إلّا بالأعمال، جاريًا على ما يقتضيه المقام من المواعظ المبكية والمفاكهات، أو ما يدلّ على أسلوب البلغاء في بعض/ 2/ المطارحات، وعلى السّنة المعهودة عند البلغاء والأدباء، والطريق المسلوكة بين الشّعراء والخطباء.

فها أنا شرعت طلباً للسُّرعة من خوف عوائد الطوارق، وانتهازا للفرصة بين رقباء العوائق، **وَسمَّيْتُه إسْمَاعُ الأَصم، وَشِفَاءُ السَّقَمِ، فِي الأَمْثَالِ وَالحِكَمِ**. وحقّ على كل من يتعاطى هذه الصناعة، أن يجعل في أوّلها الصّلاة والسّلام على صاحب الشفاعة؛ لعلّ أن يكون تسويدها اليوم في مبيضّ هذه الصّحائف، يُبيِّض غدى سواد تلك الصّحائف. قال المصّر رَحِمَهُ اللَّهُ بعد سطر الافتتاح:

حرف الألف

[أَدَبُكَ ثَوبُكَ، وَوَجْهُكَ عِرْضُكَ، وَالأَدَبُ سِلاَحُ زَمَانِ الكِفَاحِ]

أقول مراده بالألف الهمزة، قال المصّر فيما كتبه على هذه الرسالة: ومعنى **أَدَبُكَ ثَوبُكَ، وَوَجْهُكَ عِرْضُكَ، وَالأَدَبُ سِلاَحُ زَمَانِ الكِفَاحِ** أنّ الإنسان إذا تأدّب؛ فقد لبس أحسن الثياب المعنوية قال الشاعر:

تَـأَدَّب إِنْ دَخَـلْـتَ عَـلَـى أُنَـاسٍ وَكُـنْ مِـنْـهُـم بِـمَـنْـزِلَـةِ الأَقَـلِّ
فَـإِنْ رَفَـعُـوكَ كَـانَ الـفَـضْـلُ مِـنْـهُـم وَإِنْ خَـفَـضُـوكَ قُـلْ هَـذَا مَـحَـلِّـي

وقال بعض الأدباء: " اجْلِسْ حَيْثُ يُؤْخَذُ بِيَدِكَ وَتُبَرُّ، وَلَا تَجْلِسْ حَيْثُ يُؤْخَذُ بِرِجْلِكَ وتُجَرُّ". قلت: وقال بعض الحُكَمَاء لابنه: إن دخلت على أمير فلا تدن منه؛ لأنّك إن دُعيت من بُعد، خيرٌ من أن تُطَرد من ضرب، وقال عمر بن ذر لابنه: كُن ذَنَبًا ولا تَكُن رأسًا، لأنّ النّاس إنّما يقصدون بالضرب الرأس لا الذنب، ودخل أبو نصر الفارابي الفيلسوف المحقق، على سيف الدولة ابن حمدان، فقال له اجلس: فقال: حيث أنا أم حيث أنت، فقال: بل حيث أنت/ 3/ فتخطّى أهل الدولة حتّى جلس حذوه، فقال لغلمانه الرجل بناء الأدب؛ فإن كلمته بأمر لا يحسّن فيحسنه فأحدقوا به، فقال فكلّمه بلسان قلّ من يعرفه، فإذا هو يعرفه أكثر من الأمير، فقال له: هل لك في أن تأكل؟، قال: لا، وهل لك أن تشرب؟، قال: لا، وهل لك أن تسمع؟، قال: نعم، فكلّ من ضرب أوتاره عابه، ثم أخرج خريطة فيها أعواد، وركبها وضرب فبكوا كلّهم، ثم قلبها وضرب فضحكوا كلّهم، ثم حلّها وركبها وضربها فناموا كلهم وخرج. انظر حاشية الحسن اليوسي على مختصر الشيخ السنوسي.

ثم قال المصّر: ويحتمل أن يكون أراد بذلك لبس الثياب الحسنة؛ لأنها دالة على آداب الإنسان، وصفاء باطنه ولذا قدم للإمامة، إذا تساوى مع القوم في غيرها، قال الشاعر:

حَسِّنْ ثِيَابَكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهَا زَيْنُ الرِّجالِ بِهَا تُعَزُّ وَتُكْرَمُ
تَجْدِيدُ ثَوبِكَ لا يَضُرُّكَ بَعدَ أَنْ تَخْشَى الإِلَهَ وَتَتَّقِي مَا يَحرُمُ
وَرَثَاثُ ثَوْبِكَ لَا يَزِيدُكُ رِفعَةً عِنْدَ الإِلَهِ وَأَنْتَ عَبْدٌ مُحْرَمُ

قلت: ولذا قال الشاعر وأجاد:

وَهَلْ نَافِعٌ لِلنَّاسِ حُسْنُ ثِيَابِهِم إِذَا كَانَت الأَعرَاضُ غَيرَ حِسَانِ
فَلَا تَحْسَبِ الحُسن الدَّليلُ عَلَى الفتا فمَا كُلُّ مَصْقُول الحَدِيد يَمَانِي

وقد دخل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ على الخليفة هشام بن عبد الملك في بزّة حسنة، فأغضى منه هشام وسأله الأدب معه، فقام مغضبا وقال له: والله لا تراني إلّا حيث تكره، فكان من أمره ما كان، وكان سعيد بن المسيّب وسليمان بن سيّار كل منهما لابس لحلّة بستين دينارًا/ 4/ ولا ينكر هذا على هذا.

وقال الشيخ قويسم على رجال الشّفا: قُوِّمَت ثِيابُ محمد بن غانم قاضي القيروان بعد موته بألف دينار. قول المصّر: الأدب على ثلاثة أقسام إلخ؛ بل على اثني عشر قسمًا، عدّوا منها علم العروض والتاريخ والنّسب إلى غير ذلك. انظر شرحنا للمقامات الحريرية، وقال الخفاجي: النّسب من علم التاريخ.

قلت: والأدب عند السّادات الصوفية خارج عن هذه الأقسام كلّها، قال العارف بالله الشيخ أحمد بن عطاء الله[1] في الحِكم، ربما دلّهم الأدب على ترك الطلب، اعتمادًا على قسمته واشتغالاً بذكره عن مسألته.

(1) ابن عطاء الله الاسكندري (ت709هـ =1309 م) أحمد بن محمد بن عبد الكريم،=

قال العارف بالله الشيخ محمد بن عبّاد عقبه: قد يكون من الأدب ترك السؤال، والطلب لمن هو مستغن بالأذكار، راض بما يجري عليه من تصاريف الأقدار. قال الإمام أبو القاسم القشيري: اختلف النّاس في أي شيء، أفضل الدعاء أو السكوت والرضا، ومنهم من قال: السكوت تحت جريان الحكم إثمٌ في الأدب.

قال الواسطي: اختيار ما جرى لك في الأزل خير من معارضة الوقت. وقال القشيري: "السكوت في بعض الأوقات أفضل من الدّعاء، وهو الأدب" اهـ. وقال أيضا: أدَّب الله تعالى خليله إبراهيم إلخ كلامه.

وفي الصّحيح أنّ الخليل لما جُعِل في المنجنيق ليرمى فيه، قال له جبريل عليهما السلام: " أَلَا تَدْعُو رَبَّكَ"، فقال: " عِلمُهُ بِحَالِي يكفي عَنْ سُؤَالِي" اهـ. تعجّب أيها الإنسان أنه عليه السلام واقف مع الأدب في ذلك المشهد العظيم والخطب الجسيم. ولجمال الدين بن النقيب ما نصّه:

وَأنَّ ابتِهَالَ المَرْءِ أَوْلَى بِحَالِهِ ... وَحُقَّ عَلَى ذِي الرِّقِّ أَنْ يَتَرَفَّقَا
وَقِيلَ سُكُوتُ العَبْدِ أَوْلَى لأَنَّهُ ... سُكُونٌ إِلَى جَرْيِ المَقَادِيرِ مُطْلَقَا
وَقِيلَ الرِّضَى بِالقَلْبِ وَالنُّطْقُ بِاللِّسَانِ ... لِكَوْنِهِمَا لِلْعَبْدِ أَوْلَى وَأَلْيَقَا/ 5/

وقال في الحِكَم أيضًا: " الْمُؤْمِنُ إِذَا مُدِحَ اسْتَحْيَى مِنَ اللَّهِ أَنْ يُثْنَى عَلَيْهِ بِوَصْفٍ، لا يَشْهَدُهُ مِنْ نَفْسِهِ" اهـ. فهذا هو الوقوف مع رياضة النّفس وآدابها، وقال أيضًا: ما الشأن وجود الطّلب، إِنّمَا الشّأنُ أَنْ تُرزَقَ حُسْنَ الأَدَبِ". وقال عطاء الخراساني عن وهب بن منبّه مثل ذلك،

= أبو الفضل تاج الدين، ابن عطاء الله متصوف شاذلي، من العلماء. كان من أشد خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية. له تصانيف منها الحكم العطائية في التصوف، وتاج العروس في الوصايا والعظات، و(لطائف المنن في مناقب المرسي وأبي الحسن توفي بالقاهرة. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج1، ص: 221).

جعلنا الله ممن قام بأدبه، ولا طاقة لنا بذلك إلّا بحوله وقوته، وما أحسن قول القائل:

وَغَيرُ تَقِيٍّ يَأمُرُ النَّاسَ بِالتُّقَى طَبِيبٌ يُدَاوِي وَالطّبيبُ عَلِيلٌ

قال تعالى: ﴿۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ﴾ الآية[1]. قول المصّر: ووجهك عرضك إلخ. العرض بكسر العين هو محافظة الإنسان على ما يحمد لئلّا تتطرق الألسنة فيه. وفي الحديث" **الْحَلالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُتَشَابِهَاتٌ، فَمَنِ اسْتَبْرَأَهَا كَانَ أَسْتَر لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ**"[2]. وقال عبد الله أبو النّبي ﷺ، لمّا أن دعته بَغِيَّة إلى نفسها لما رأت في وجهه من نور النبوءة فامتنع وقال ما نصّه:

أَمّا الْحَرَامُ فَالْجِمَامُ دُونَهْ يَحْمِي الْكَرِيمُ عِرْضَهُ وَدِينَهْ

والمعنى عِرْضُكَ وقاية وجهك من وجل وغيره. قال حسان بن ثابت رضي الله عنه في هجاء ابن الزبعرى[3] وغيره من كفار قريش ما نصّه:

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

ولمّا مرضت أم المؤمنين واستأذن ليعودها، قال بعض من عندها لا

(1) سورة البقرة، الآية: 44.

(2) الحديث الكامل هو "صحيح البخاري (52، 2051)، سنن أبي داود (3329)، سنن الترمذي (1205)، سنن النسائي (4453، 5710)، سنن ابن ماجه (3984)، سنن الدارمي (2573) مسند أحمد (18347، 18368، 18374، 18384، 18412، 18418). الحَلالُ بَيّنٌ والحرامُ بيّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُتَشَابِهَاتٌ لا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلا لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ".

(3) ابن الزبعرى (نحو15هـ- نحو636م) عبد الله بن الزبعرى بن قيس السهمي القرشي، أبو سعد: شاعر قريش في الجاهلية. كان شديدا على المسلمين إلى أن فتحت مكة، فهرب إلى نجران، فقال فيه " حسان " أبياتا، فلما بلغته عاد إلى مكة فأسلم واعتذر، ومدح النبي ﷺ فأمر له بحلة. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج1، ص: 87.

يدخل، لما كان خاض في قضية الإفك، قالت: بل اذنوا له لقوله: " فإنّ أبي ووالده" إلخ. وقوله: " الآداب سلاح زمان الكفاح"، السّلاح ما يقاتل به، والكِفَاح بكسر الكاف الحرب، والمكافحة المقاتلة، أي أنّ الأدب/ 6/ يقيك من مصارع السُّوء، كما يقيك سلاحك من أعدائك في الحرب. وقد قال شابٌّ لما قَبض عليه الحَرَسُ ليلاً للأمير ما نصّه:

أَنَا ابْنُ الَّذِي لَمْ تُنْزِلِ[1] الدَّهَرُ قِدْرَهُ وَإِنْ نَزَلَتْ يَوْمًا فَسَوْفَ تَعُودُ
تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ فَمِنْهُمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا وَقُعُودُ[2]

وقال آخر قُبض معه ما نصّه:

أَنَا ابْنُ الَّذي ذُلَّت لَهُ الرِّقَاب مَا بَيْنَ مَخْزُومِهَا وَهَاشِمِهَا
فَتَأْتِي إِلَيْهِ طَائِعَةً يَأْخُذُ مِنْ مَالِهَا وَمِنْ دَمِهَا[3]

فقال الأمير: هذان من أبناء الأمراء، وقد قال ﷺ: "**أَقِيلُوا العَثَرَات مِنْ ذَوِي الهَيْئات**"[4] **فسرّحهما، ثم قيل له صباحاً خدعك، أحدهما ابن فرّان والآخر ابن حجّام، فقال أدبهما قام مقام شرفهما.**

وغضب أبو جعفر المنصور على كُتّابه وأراد الفتك بهم، فقال شابٌّ منهم ما نصّه:

نَحْنُ الكَاتِبونَ وَقَدْ أَسَأْنَا فَهِبْنَا لِلكِرَامِ الكَاتبِينَا

---

(1) في الأصل: "يُنْزِلْ".

(2) البيتان من الطويل، وردا موصوفين بأنهما لابن طباخ، انظر الكناية والتعريض للثعالبي 46، والغيث المسجم 1/ 101، وطراز الحلة 612، وخزانة الأدب لابن حجة 2/ 359.

(3) البيتان من المنسرح، وقد وردا في عدد من المصدر موصوفين بأنهما لابن حجام، انظر: الغيث المسجم 1/ 101. انظر: طراز الحلة 612، وخزانة الأدب لابن حجة 2/ 360.

(4) الحديث الصحيح هو: " أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ". أخرجه أبو داود في السنن - الحدود - باب في الحد يشفع فيه ج 4375، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، ج 465، وابن حبان في صحيحه (الإحسان، ج 1520) وقوّاه ابن حجر، وحسنه صلاح الدين العلائي (انظر بذل المجهود 17/ 316) وصححه الألباني بمجموع طرقه (السلسلة الصحيحة ح 638).

فعفا عنهم كلّهم، وقال: الأدب يقي من العطب، ويرقي المملوك إلى مرتبة الملوك، وأمر هارون الرشيد بقتل ثلاثة، فقتل اثنان وبقي الثالث، وهو مسلم بن الوليد صريع المقواني، فقيل له: إنه بحر من بحور الأدب، حتّى أنه يرتجل الشعر من غير روية ولا تدبر، فلما اختبره عفا عنه.

المثل: "أَعْطى الْعَبد كُراعا فَطَلب ذِرَاعا"، صار مثلا سائرًا لمن أعطي شيئًا قليلاً ثم طلب أكثر منه، والكُراع بضمّ الكاف معروفٌ، والذِّراعُ بكسر الذّال معروفٌ أيضًا، وهي مؤنثة كما صرّح النحاة بذلك في باب جمع التكسير، وأول من قاله جارية مالك وعَمر الأسديّان قديماً، جذيمة الأبرش لمّا وجدا/ 7/ عمر ابن أخته رقاش، وكان استهوته الجِّن فوجداه وذهبا به إليه، فسبقتهما الجارية في ذهابهما وسقتهما خمرًا، ثم ناولت عمرًا القيمة؛ فأكلها وطلب أكثر منها، فقالت ذلك: فالكراع هنا كناية عن شيء قليل.

ومنه أمنع من أم قرفة، لأنه كان يعلَّق في بيتها خمسون سيفًا، ومنه أعيا من باقل، فإنه اشترى ضبيًا بأحد عشر درهمًا، وحمله على قفاه ماسكًا له بين يديه ورجليه، فمرّ بجماعة فقالوا: بكم هذا؟، فخلى عن الضّبي، ومدّ أصابعه العشرة ولسانه، وهو الموفى الدرهم الحادي عشر؛ فهرب الضّبي. فصار مثلاً سائرًا. ومنه أبخل من مادر[1]، لأنه كان يرضع ناقته ليلاً، يسمع جاره شخب حلابه في الإناء، وقد قال سلمة ابن الأكوع يوم غار عيينة بن حصن على لقاح النبي ﷺ "أَنَا ابْنُ الأَكْوَعْ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعْ "[2].

(1) هذا مثل سائرٌ في البخل، أما عن مادر: فهو رجل من بني هلال بن عامر بلغ من بخله أنه كان يسقي إبله فبقي في أسفل الحوض ماء قليل فسلح فيه ومدر الحوض به فسمي مادراً. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المحاسن والأضداد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1994، ص: 58.

(2) ينظر: باب غزوة ذي قرد وغيرها، أبو الحسن بن مسلم القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، دار الجيل، بيروت، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص: 198.

ومنه أشأم من بسوس؛ لأن بسببها قتل كليب سيد العرب ناقتها، دامت الحرب بين بكر بن وائل[1] وبني شيبان أربعين سنة. ومنه أشأم من أحمر ثمود، لأنّه الّذي عقر ناقة صالح عليه السلام بإغراء صدوف وصواحبتها. ومنه أَمْتٌ في الحَجَرِ، لا فِيكَ حكاه سيبويه[2]. ومنه أشهر من ذئب يضرب مثلاً لمن كان معروفًا بسوء.

[تعريف الحكمة]

تتمة: قال النووي: اختُلِف في تعريف الحكمة، وقد وصف لنا أنّها عبارة عن العلم بالأحكام المشتمل على المعرفة بالله، المصحوب بنقد البصيرة، وتهذيب النّفس، وتحقيق الحقّ والعمل به، والصدّ عن اتباع الهوى والباطل والحكيم من له ذلك اهـ.

وقال أبو بكر بن دريد كل كلمة تهتك عن قبيح، فهي موعظة وحكمة وحِكَم، ومنه قوله ﷺ: "**إنّ مِنَ الشِّعرِ لَحِكمَة**"[3]. وقال الشيخ عبد القادر البغدادي في حاشيته على/ 8/ شرح ابن هشام على بانت سعاد، وفي بعض الروايات لَحِكَمًا، اهـ.

---

(1) نسبة إلى بكر بن وائل بن قاسط، من بني ربيعة، من عدنان: جد جاهلي، من نسله (بنو يشكر) و(حنيفة) و(الدؤل) و(مرة) و(بنو عجل) و(تيم الله) و(ذهل بن شيبان) وكان صنم البكريين في الجاهلية يدعى (المحرق) شاركتهم فيه ربيعة كلها. أقاموه في (سلمان) وراء الكوفة. سبائك الذهب 52 وجمهرة الأنساب 290 و 460 وطرفة الأصحاب 16 وفي دائرة المعارف الإسلامية 4: 41 - 47 فصل عن (بكر) يرجع إليه. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، ص: 71.

(2) معناه: لِيَكُن الأَمْتُ في الحِجَارة لا فيك. ومعناه، أَبقاكَ اللَّهُ تعالَى بعد فَناءِ الحِجارَةِ، بالخلود والبَقاء. ينظر: أبو الفيض مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، ج4، ص: 425. ذكره سيدي المكودي مثلا لكون الابتداء بالنكرة؛ إنّما يشترط فيه حصول الفائدة من غير مسوغ مما ذكر الناظم. وظ: 8.

(3) (إنَّ مِنَ الشِّعْر لحِكْمةً، وإنَّ مِن البيانِ سِحْراً)، أخرجه أحمد برقم (2813)، وأبو داود برقم (5013)،وأصله في الصحيحين، البخاري برقم (5146)، ومسلم برقم (2046).

[الفرق بين المثل والجاري مجراه]

تكميل الفرق بين المثل وما جرى مجراه، إنّ المثل يستعمل في غير ما وُضِع له، لعلاقة المشافهة. قال في حاشية القاموس: " أي بين ما وضع له وهو مرادهم بمورده، وهي ما استعمل هو فيه، وهو مرادهم بمضربه، حيث قالوا المثل قولٌ مؤلفٌ منثور شبه مورده بمضربه، والجاري مجراه يستعمل فيما وُضِع له، فهو حقيقة لا مجاز، فنحو "**الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ وأحَشَفاً وَسُوءَ مكِيلَة**" مثلٌ، ونحو "**كلَّ شَيْءٍ وَلَا شَتِيمةَ حُرّ**"، وهذا ولا زعماتك، والتراكيب المشتملة على وصف ديار الأحباب والأطلال، والمعاهد كقوله: دارمية إلخ، جارٍ مجرى المثل لالتزامهم فيها، حُذِف الفاعل. ومن ذلك حُبِّذا في المدح لالتزامهم إفراد ذا، وقد يطلق المثل أيضا على ما يشمل النوعين؛ فالمثل والجاري مجراه لا بد من اشتمالهما على تركيب ما". ثم قال:

حرف الباء

[بُرُّكَ بَذْرُكَ، فَمَا نَبَتَ زَرْعُكَ، البَذْرُ بُرٌّ، إذَا كَانَ المَطَر]

قال المصّر فيما كتبه على هذه الرسالة: من يزرع خيرًا يحصد سلامةً، ومن يزرع شرًا يحصد ندامةً. **قلت**: هو تلميحٌ لقول الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[1]، والذرّة بفتح الذال، والجمع ذَرٌّ وهو أصغر النّمل، فهو اسم جنس، يفرّق بينه وبين مفرده بالتّاء كلبنة ولبن، ففي المدخل أتى سائلٌ لأُمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها فأمرت له بحبّة عنب، فقال: وما تغني عني هذه يا أم المؤمنين، فقالت: "زِنْهَا كَمْ تَزِنُ مِنْ ذُرَةٍ" اهـ.

وفي الحديث "**تَصَدَّقْ وَلَوْ بِظِلْفِ مِحْرَق أَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**"، وقال صاحب السّلوانية ما نصّه:

أخي أيّها الإنسانُ مالك قوة ... ومالك إن لم يدفع الله دافعُ/ 9/
حصادُ امرئ من زرعه مزرع التّقى ... وهل تحصدنّ غير ما أنت زارعُ

ولبعضهم في ذلك ما نصّه:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وَأَبْصَرْتَ حَاصِدًا ... نَدِمْتَ عَلَى التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الْبَذْرِ

قوله: " بُرُّك بَذْرُك"، أيْ أنّ البرَّ بمعنى البرِّ، وهو بذرك للخيرات، فما نَبُت نَبْتٌ فهو أيْ أنتج لك الحسنات هو زرعك، الذي تمّ وحان حصاده والاقتيات به، ثم قال: "البذر بُرٌّ"، أيْ عمل مبرور. قوله: إذا كان المطر أيْ إذا لَمَحتَ النِّية ومُنِحت القبول، كما أنّ ما بذرت في الأرض ينتج، ويتم إذا تتابع عليه المطر، قوله: البذر مبتدأ وخبره بُرٌّ،

(1) سورة الزلزلة، الآيتان: 7- 8.

أي هو يصير بذرًا، إذا ساعده المطرُ كذلك البُرُ، ويرجع حسناتٍ إذا ساعد التوفيق والقبول.

قال في السّلوانية: "والأعمال بالنيّات في كل عامل"، وقال ابن عطاء الله في الحكم "ادْفَنْ بَذْرُكَ فِي أَرْضِ الخُمُولِ، فَمَا نَبَتَ ممِّا لَمْ يُدْفَن لَمْ يَتِّمَّ نِتَاجُهُ"، وفي بعض النسخ وجودك. وقال الحكماء: من أفضل الكسب نعجة صفراء في مرجة خضراء، وبُرّة حمراء في أرض غبراء.

فالمصّر أراد بما ذكر إشارات لطيفة، وهي تلويحات ظريفة فلله درّه. وقال الشيخ أبو مدين رضي الله عنه: "علمنا هذا إشارة، فإذا صار عبارة خفي"[1]. اهـ. ألا ترى إلى قول الجارية للجنيد رئيس القوم رضي الله عنه ما نصّه:

إذا قيلَ مَا أَذْنَبْتُ قَالَتْ مُجيبَةً وُجُودُكَ ذَنْبٌ لا يُقاسُ بهِ ذَنْبٌ

قال بشر الحافي رضي الله عنه: " مَا أَعرفُ رَجلاً أَحَبَّ أَن يُعرَفَ إِلَّا ذَهَبَ دِينُه وافتُضحَ أمرُه ". تأمّل هذه الإشارات.

المثل: " بِحَمْدِ اللَّهِ لَا بِحَمْدِ أَحَدٍ "[2]، قالته عائشة رضي الله عنها، وقد خاض أقوام في الإفك فاعتراها حزنٌ ومرضٌ، حتّى/ 10/ نزلت براءتها في عشر آيات، أوّل سورة النور، فقالت ذلك؛ فينبغي للإنسان إذا أصابته نعمة دفعت عنه نقمة أن يحمد الله ويشكره، ويعتقد أن لا شريك لله في ذلك.

"بيدي لا بيد عَمرو"[3]، هذا مثلٌ سائرٌ، وذلك أنّ الزِّباء بنت عامر ابن الضرب الملكة، لمّا مكرت بجذيمة الذي قتل أباها، وتحيل قصير

(1) ينظر: الشعراني، اليواقيت والجواهر، ج2، ص: 93.

(2) ينظر: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، البحر المديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002، ج5، ص: 87.

(3) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ج15، ص: 246.

وابن أخته جذيمة عمر بن عدي على قتلها، فلما أبصرت عَمرًا وعرفته بصورته التي عندها، وكانت جعلت سُمًّا تحت فَصِّ خاتمها، فمصّته وقالت ذلك فماتت. فصار مثلاً سائرًا لمن تيقن بمكر غيره، فمكر هو بنفسه كما وقع للملك تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين[1]، لما حاصر عبد المؤمن بوهران سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وأيس من النجاة، وضاق عليه الحال، ركب فرسًا ليلاً، وقصد الأوعلي أسفل المائدة؛ فحمل الفرس على أخدود، فسقط فيه مع الفرس فماتا معًا[2].

وكذا ملوك التتابعة لمَّا غلب عليهم الحبشان، خاضوا البحر بخيولهم فماتوا، منهم ذو يزن، وذو نواس وغيرهما، ولما غلب رسول الله ﷺ كفار قريش، وأسلم أبو سفيان، ذهب باقيهم إلى البحر ليغرقوا فيه جزعا، فأخبرت أمّ هانئ أخت علي رضي الله عنهما رسول الله ﷺ، فبعث من ردّهم وأعتقهم، وأحسن إليهم مثل صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، والحارث بن هشام وغيرهم. والكل تبع الزباء القائلة: بيدي لا بيد عمرو.

(1) تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين الصنهاجي اللمتوني، أبو المعز: صاحب المغرب، من ملوك دولة الملثمين. كان شجاعا بطلا. تولى في أيام أبيه غزو الفرنجة بالأندلس (سنة 520 هـ) فعبر البحر، وافتتح حصونا من طليطلة. لقد كانت أيامه كلها حروبا انتهت بمقتله في وهران، وقد باغته الموحدون ليلا وأضرموا النار حول حصنه، فركب يريد النجاة أو الهجوم، فانقلب به جواده فسقط قتيلا. ينظر ترجمة يوسف بن تاشفين، في: ابن الأبار، الحلة السيراء، ص: 198، والناصري، الاستقصا، ج1، ص: 126، لسان الدين ابن الخطيب، رقم الحلل، ص: 53، وابن الخطيب، الحلل الموشية، ص: 90، وبن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس، ص: 106. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، ص: 82.

(2) قوله: كما وقع للملك تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين، لما حصره إلخ، التي في كتب التاريخ كالقرطاس، والجذوة، ومنتهى الأعلام بوفيات الصحابة وملوك الإسلام لابن حجر، المقتبس، أنه خرج فاراً بنفسه، زاد في القرطاس: " فظن أن الأرض متصلة فأوهى من شاهق عال" اهـ. لا أنه قصد بذلك قتل نفسه. إسماع الأصم، المصدر السابق، وو: 11.

حرف التاء

[تَرْكُ الذُّنُوبِ مَشْرُوعٌ وَمَطْلُوبٌ، التَّقْوَى زَادٌ، مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ]

قال المصّر فيما كتبه على هذه الرسالة قال الشاعر:

وَلَسْت أَرَى السَّعَادَةَ جَمْعَ مَالٍ وَلَكِنَّ التَّقِيَّ هُوَ السَّعِيدُ
وتَقْوَى اللهِ خَيْرُ الزّادِ عندي وعند الله للتّقوى[1] مزيد/ 11/
وما لا بُدَّ أنْ يَأْتِي قَرِيبٌ ولكنَّ الذي يَمْضِي بَعِيدُ

قلت ومنه قولهم: مَا أَبْعَدَ مَا فَاتَ، وَمَا أَقْرَبَ مَا هُوَ آتٍ، في لغة بالوقف على التاءين، وقد قال امرؤ القيس ما نصّه:

أجارَتَنا إنّ الخطوبَ تنوب وما هو آتٍ في الزمانِ قريبُ

قوله: "ترك الذنوب" مضاف ومضاف إليه، مبتدأ أخبر عنه بخبرين وهما مشروعٌ ومطلوبٌ، رُبَّ[2] امرئ أوقعته ذنوبه فيما يكره، قال العلّامة ابن مرزوق الحفيد، حدّثني ابن جميل قال: أفتيت في مسألة بقول أصبغ وابن حبيب وهو ضعيف، وتركت المشهور وهو قول ابن القاسم، ثم إني ذهبت لزيارة أمي؛ فبينما أنا أمشي في طين المطر؛ إذ زَلقت فانكسر ذراعي، ثم بعد ذلك ذهبت لزيارة شيخي إبراهيم المصمودي رحمه الله، فقال ما بك؟ قال: ذنوبي، فقال لي بديهة لا ذنب على من قلد أصبغ وابن حبيب، اهـ.

اعلم أن من وفقه الله صرف عنه وسائل الذنوب، ومن خذله أدرجه

(1) في الأصل: "للأَتْقَى". من شعر الحطيئة.
(2) "رُبَّ" في قوله: " رُبَّ امرئ الخ" للتكثير. إسماع الأصم، وظ: 12.

إلى ما يوصل له، وقد قالوا في الذي حبس ضحية، حتى فات وقت ذبحها وهو الثلاثة أيام، أنه آثم، فإن قيل: لا يأثم على ترك السنة؛ فالجواب أنه تركٌ، ارتكب إثما فوّته هذا الخير انتهى.

بشارة: قال ابن عطاء الله في حكمه: " لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله، فإن من عرف ربه استصغر ذنبه" اهـ.

[عَظَمَةُ الذنبِ عَلَى وَجْهَيْنِ]

قال العارف بالله ابن عبّاد عَقِبَهُ: عظمة الذنب عند مرتكبه على وجهين، أحدهما أن يعظم عنده عظمة تحمله على التوبة منه، والإقلاع عنه، وصدق العزم على أن لا يعود إلى مثله، فهذه عظمة محمودة، وهي من علامات إيمان العبد. قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إنّ المؤمن يرى ذنبه كأنه في أصل جبل يخاف أن/ 12/ يقع عليه، وأن الفاجر يرى ذنبه كذباب وقع على أنفه، قال به هكذا فأضاره"، ويقال إن الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله، وأن المعصية كلما استعظمت صغرت عند الله.

والثاني أن يعظم عنده عظمة توقعه في اليأس والقنوط، وتؤديه إلى سوء الظن بالله تعالى؛ فهذه عظمة مذمومة قادحة في الإيمان، وهو أشد من ذنبه، وسببه وجود حبله بصفات مولاه المحسن الجواد الكريم، ووقوفه مع نفسه وحدسه.

بشارة أخرى: جاء رجل إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي، فقال: يا سيدي كان بجوارنا البارحة من المنكرات كيت وكيت، وظهر من ذلك الرجل استغرب أن يكون هذا، فقال: يا هذا، كأنك تريد أن لا يعص الله في مملكته، ومن أحبّ أن لا يعصى الله في مملكته، فقد أحب أن لا تظهر مغفرته، وأن لا تكون شفاعة نبيه ﷺ، وكم من مذنب كثرت إساءته، وذلة مخالفته أُوجبت له الرحمة من ربه فكان به رحيما، اهـ. فلا

ينبغي للعبد أن يستعظم ذنبه استعظاما يؤديه إلى الإياس من رحمته. وفي الحديث لولا أن الذنب للمؤمن خير من العجب، ما خلّى الله تعالى بين مؤمن وبين ذنبه.

وقال صاحب السلوانية ما نصّه:

تسميتَ بالغفورِ قبل وجودنا فلا بدّ إنا للخطايا نواقع

قوله: " والتقوى زاد ما له نفاد"، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2].

تتمة: غزا علي رضي الله عنه إلى جهة الشام في ثمانية وسبعين ألفا ومائتين، فمرّ بمقبرة عظيمة تدعى بروضة نخيلة، فوقف بها عند قبر عبد/ 13/ الله بن خباب بن الأرت ساعة، ثم قال: قليل هذا في حقّ أخينا، ثم قال يا أهل القبور الذي عندنا من الخبر، أن الديار قد سُكِنت، وأن الأموال قد قُسِّمت، وأن الزوجات قد نكحت، فقال له الأشعث بن قيس: يا أمير المؤمنين أتكلّم قومًا موتى؟، فقال: ما أنت بأسمع لما أقول لهم، فقال له: ولو أجابوا ما يقولون؟ قال: يقولون وجدنا خير الزاد التقوى، اهـ.

هذا وقد قال في المدخل، التقوى في الفجّار كالمعصية بين الأبرار، إن الطيور على أجناسها تقع. **المثل**: "تحاكت العقرب والأفعى، كل من العقرب والأفعى معروف"، وهو مثلٌ سائرٌ، يقال لمن تكافأ ولم ينل أحدهما من الآخر شيئًا. تمّم إثمه بعقّه أمه، وهو مثلٌ يضرب لمن عليه آثام، ثمّ أردفها بإثم أكبر، تؤتي أُكلها كل يوم، هو مثل قاله الخليفة

(1) سورة البقرة، الآية: 197.

(2) سورة الحجرات، الآية: 13.

هشام بن عبد الملك بن مروان، لعروة بن الزبير رضي الله عنهما، وذلك أنه دخل بستانًا لراهب وقت الطاعون، ومعه عروة ووزيره الأبرش الكلبي، فقال عروة: ما أحسن هذا البستان، فقال له هشام: أنت أحسن منه، لأنه يؤتي أُكله كل سنة، وأنت تؤتي أكلك كل يوم، أراد هشام العلم الذي منحه الله لعروة رضي الله عنه.

حرف الثاء

[ثَوْبُكَ الجَدِيد، رَأْيُكَ السَّدِيد، الثَّبَاتُ سَيْفٌ فِي مَيْدَانِ الحَيْفِ]

قال المصّر في ما كتبه على هذه الرسالة، استعمل الفكر فيما ترومه من مرامك، فالفكر أمضى من ما استعملته من حسامك، وقال أيضا:

عليكَ بإظهار التجلّد للعدا ولا تظهرن منك الذهول فتحقرا
أليس ترى الريحان يلثم يانعًا ويترك منبوذًا إذا ما تغيرا/ 14/

قوله: "ثوبك الجديد رأيك"، أي هو رأيك السَّديد، يصحّ القلب بأن تقول: رأيك السديد ثوبك الجديد، أي الذي لا يبلى، والمراد به العمل الصالح. وقوله: والثبات سيف في ميدان الحيف قال تعالى: ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ وقال عمر بن الحمام:

طلبتُ إلى نفسي الحياة فلم أجد إليها حياة مثل أن يتقدما
ولسنا على الأعقاب تدمي كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدِّما
نفلق هاما من رجال أعزّةٍ علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

تمثّل بالبيت الثاني سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه يوم قتل، وتمثّل بالبيت الثالث يزيد بن معاوية لما وُضِع بين يديه رأس سيدنا الحسين عليه السلام، وأبدل لا غفر الله له " أعفّ وأكرما" بأعقّ وأظلما، لا سامحه الله، والحيف الحرب.

وقول المصّر فيما كتبه على هذا، قال معاوية للحسن إلخ، قال الأرفعي في تصريحه، دخل الحسن بن علي رضي الله عنهما، على معاوية يعوده في مرضه، فقال معاوية متمثلا ببيت أبي ذؤيب الهذلي، لما مات أولاده الخمسة بالطاعون ما نصّه:

وتجلدي لي للشامتين أراهم أنّي لريبِ الدّهرِ لا أَتَضعضع

فقال الحسن بن علي رضي الله عنهما على البديهة متمثلاً بالبيت الأخرى:

وإذا المنيّة أنشَبَت أظفارهَا ألفيتَ كلَّ غنيمة لا تنفع

وهذا البيت[1] فيه استعارة مكنية وتحسينية انظر التلخيص. ومن الحِكم أيضًا ثوبًا توليه خيرًا من ثوب تبليه، ومنها أيضًا ثوابك أثوابك، أي أن الحسنات بها يمنح في الآخرة لباسا حسنًا، ومنها أيضًا الثوى توى، الثوى بالمثلثة الإقامة، والتوى/ 15/ الهلاك، أي: أن من لا يتكسّب يقِلُّ عَيْشُه المؤدي لهلاكه، قال القسطلاني لما أراد الذهاب للمنصور بن أبي عامر، وأبت زوجته ما نصّه:

ألم تعلمي أن الثواء هو التولي وأن بيوت العاقين قيوده

من قصيدة عارض بها قصيدة أبي نواس الرائعة المشهورة. **المثل**: "ثوابة الأثواب له ثؤابة"، هذا من فحول عرب الحجاز الداخلين لإفريقية في وسط القرن الخامس، وقد أهدى شيئا لأحد شيوخهم، وهو ثليمان أحد أمراء العرب العشرة فلم يكافئه، فصار مثلاً سائرًا لمن أهدى شيئا لغيره، ولم يكافأ عليه، لأن الثواب العطاء، يقال أثابه إذا كافأه.

وقلت: وعقاب هو مثل يضرب لمن خالط غير جنسه، لأن العقاب كله أنثى، ويسافده ذكر الثعلب، فتحمل العقاب منه، قال ابن عشري يهجو شخصا ما نصّه:

ما أنت إلّا كالعقاب فأمّه معروفة وله أبٌ مجهول

وقد قال الشيخ إبراهيم في شرحه للمختصر في باب الزنا عند قول

(1) قوله: "وهذا البيت إلخ"، خارج عن مقصد الكلام؛ فالصواب إسقاطه، وربما كان في ذكره، تحذه بأنه ممن يعرف على البيان مع أن هذا ممّا لا يخفى عندهم، وليس فيه كبر قوته؛ فهو بمنزلة قول النحاة "قام زيد في الشهرة والعلم به اهـ". من كاتبه عفا الله عنه. إسماع الأصم، وو: 15.

الشيخ خليل: "وهي كغيرها في الذبح والأكل" ما نصّه: الزرافة متولدة من ثلاثة حيوانات لأنّ الزرافة لغة الجماعة. قلت والذي للحافظ العراقي في شرحه لألفيته في مصطلح الحديث عند قوله: كأخبرت أزفلة، إن أزفلة في اللغة الجماعة لعل ذلك بيان لما قبله، والعُقاب بضم العين يجمع على عِقبان بكسرها، قاله الشيخ خالد في شرح البردة عند قول البوصيري:

ودّوا الفرار فكادوا يغبطون به أشلاء ثمالت مع العقبان والزحم

شرفت فأبحح على حدِّ قول عائشة رضي الله عنها يوم الجمل، ملكت فأبحح أي فأسهل، ولذا لما ثبتت التميمية بعد وفاة النبي ﷺ / 16/ وتبعتها العرب، فقصدت مسيلمة الكذّاب للحرب؛ فخاف منها وبعث بها لابن تنداس، ما أنزل علينا فأتته وأكثر لها البخور ليلا قائلا: لمن يعمله إن النساء إذا شممن البخور، وتطيّبن يحنّ للباءة أي الجماع، فبات معرساً بها فسمّها العرب سجاحًا، أي سهلة الزنا، وتفرقوا عنها وبقيت وحدها إلا أنها تابت.

حرف الجيم

[جَرِّبْ وَاصْحَبِ الجُرْأَةَ عَلَى الأُسُودِ، تَكْرِيرُ رُؤْيَةِ الحَسُودِ][1]

قال المصّر[2] ما نصّه:

هـذا مـا صـحـبْـتَ امـرأً فـلـيـكـن شـريـفَ الـنـجـادِ كـريـم الـنـسـب
فـنـدل الـمـرجـان كـنـدل الـنـبـات فـلا لـلـثـمـار ولا لـلـحـطـب

الجُرأة بضمِّ الجِيم من الاجتراء على الأمور ومصادمتها. وفي المثل أجرأ من خاصي الأسد، وذلك أنّ عليًا رضي الله عنه قال له خنثى: إني متزوج بابن عمٍّ لي، ووطئت جارية لي فأحملتها، فأمر علي رضي الله عنه غلامه متبرأ بعد إطلاعه، فوجدها ثمانية عشر من كل جهة، فألبسه لباس الرجال، بعد أن بعث لابن عمّه، وسأله في ذلك فصدّقه، فقال له: هل أصبتها بعد ذلك؟، قال: نعم، فقال له: إنك أجرأ من خاصي الأسد.

(1) ينظر: أبو عبيد البكري، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تح: إحسان عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1971، ص: 504.

(2) وله "جرّب واصحب" أي أنه ينبغي لمن أراد أن يصحب أحدا أن يجرّبه فيما يتقيه منه، فإن وجده يحسنه فليصحبه، وإلا فلا. كما في ذلك من الثنا برأسين، والمراد من الصحبة الاجتماع والاتفاق، اهـ. وقوله: " الجرأة على الأسود الخ" هو من التشبيه البليغ ويصح فيه القلب وهو الأولى لولا بناؤه على حرف الجيم، وقال "تكرير" دون رؤية الخ، لأنّ المرة الواحدة مغتفرة، وتقييده بالرؤية دون الخلطة، لأنها آكد في التحذير، مع فهم النهي عن الخلطة من باب أحرى. والمبتغى أن يراد به للأسود المعاصي، لأنها تفترس صاحبها وتدنيه إلى غضب مولاه، وأن المراد بالحسود الشيطان وأعوانه، والمراد برؤيته الميل إليه ومتابعته، ويصحّ فيه أي في الحسود أن يضبط بفتح الحاء فَعول من الحسد، ويصحّ ضبطا جمع حاسد، كقاعد وقعود، وهو الأولى لمطابقته للأسود، اهـ. من كاتبه السنوسي عبد القادر بن دح أمنه الله آمين. إسماع الأصم، وو: 17.

ومعنى كلام المصّر أنّ تكرير رؤيتك للحسّاد المشاغبين، الذين لا خير فيهم، ومخالطتك لهم مثل اجترائك على الأسد في عرينه، وقد قال الحكماء لا تدُن من الأسد يأكلك، أي أنّ تكرير رؤية الحسود المشاغب الذي لا تأمن معه على دينك، مثل الجرأة على الأسود في أنّ ذلك غير محمود.

قال ابن عطاء الله في الحكم: " لَا تَصْحَبْ مَنْ لَا يُنْهِضُك حَالُهُ وَلَا يَدُلُّك عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مَقَالُهُ". وقال ﷺ: "**الصَّاحِبُ كَالرقعةِ في الثَّوب، فَلْيَنظر أَحَدكم مَنْ يُخَالل**"[1]. قوله: "فندل الرجال إلخ"، الندل هو اللئيم. وقد كان/ 17/ القاسم بن عيسى العجلي المشهور بأبي دلف، يسكن الكراج بفتحتين وجيم، وكان من قواد المأمون، فكان يأتيه ببغداد، فإذا ذهب من عنده زار محبوبته ثمة، فذهب بها بعض الأيّام على حانوت تاجر، قد شرط بلسانه بفنائه، فوطئه أبو دلف بفرسه؛ فخرج إليه التاجر، وقال: مهلاً يا أبا دلف ليس هذا كرجك، وإنما هي بلاد أمير المؤمنين تشرب والشاة فيه، والذئب من ماء واحد، فخجل وكان كثير الحياء، فلم يزر محبوبته، وانقلب وهو يقول:

سليمى قد حالت بيننا الأندال في ضيف ليس للخيل فيه مجال

وقول المصّر في الصّاحب: فليكن شريف النجاد، وهو بكسر النون قال الشّهاب في شرح خطبته الشفاء النجاد والمحتد أو الضيضم والحرشومة والمنصف كلها بمعنى الأصل، وما زالت الأدباء يحضّون على اختيار الصّاحب، ولذا قال تاج الدين السّبكي ما نصّه:

عَلَيْكَ بِأَرْبَابِ الصُّدُورِ، فَمَنْ غَدَا مُضَافاً لأَرْبَابِ الصُّدُورِ تَصَدَّرَا
وَإِيَّاكَ أَنْ تَرْضَى بِصُحْبَةِ سَاقِطٍ فَتَنحط قَدْراً مِنْ عُلَاكَ وَتَحْقُرَا

(1) في رواية: "الصاحبُ لِلصاحبِ كالرُّقعَةِ في الثَّوبِ، إن لم تكنْ. مِثلَهُ شانَته". شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1986، ج1، ص: 265.

فَرَفْعُ أَبُو مَنْ ثُمَّ خَفْضُ مُزَمَّلٍ يُبَيِّنُ قَوْلِي مُغْرِيًا وَمُحَذِّرَا

أشار بقوله خفض مُزَمَّلٍ إلى قول امرئ القيس في وصف جبل ما نصّه:

كَأَنَّ أَبَانًا فِي أَفَانِينِ وَدقِهِ كَبِيرُ أُنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمَّلِ

بكسر اللّام مجرورا بالمجاورة لبجاد، وحقّه الرفع، لأنّه نعتٌ لكبير ورفع أبو لمجاورته أداة الصدور وهي من، لأنّها من أدوات الصّدور. المثل: " جاء بِخُفَّيْ حُنَيْن" ، أصله أنّ رجلا اسمه حُنين، سُلِبت ثيابه وما تُرِك له إلّا الخّف، فقالت زوجته جاء حنين بِخُفَيْه؛ فذهب مثلاً سائرًا لكل من سُلِبَ كثيرًا وأُبْقِيَ/ 18/ له قليل.

وَجَاءتْكَ بِالحَائِنِ رِجْلَاهُ[1]، أصله أنّ النعمان الأكبر من ملوك آل محرف أو عَمرو بن هند منهم أيضا، كان له يوم عطاء وكرم، ويوم بؤس وقتل، يقتل فيه من لقيه أولاً، فمهما حيّاه بتحية ملوك الجاهلية وهي "أبيت اللعن" أو متى برأ من ضرباب بفتح فكسر، وهي ذؤيبة منتنة لكثرة فسدها؛ فيعلم أنه مقتول. فكان في يوم بؤسه أتاه عَبيد بفتح العين، ابن الأبرص أولاً أحد فحول شعراء الجاهلية، فقال له الملك: لو كان القتل لغيرك أنشدنا، فقال: حال الجريض دون القريض، فذهب مثلاً، ثم قال: جاءتك بالحائن رجلاه[2]، من الحين بفتح الحاء المهملة وهو الهلاك، فذهب مثلاً سائرًا لكل من أتى بمنيته، فلمّا قرب للقتل قال ما نصّه:

(1) الحسن اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات معهد الأبحاث والدراسات للتعريب، الرباط، ج1، ص: 61.

(2) انظر: ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1980، ج1، ص: 170. وأبو هلال العسكري جمهرة أمثال العرب، 1: 359، والفاخر: 250، والميداني 1: 129، والمستقصى: 201، واللسان: جرض، وفصل المقال: 444.

أبلغ إخواني وكلما لي من طريق وتاله

ثم قيل، وما أحسن قول الشاعر[1] في هذا الملك ما نصّه:

لَهُ يَوْمُ بُؤْسٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَبْؤُسٌ ... وَيَوْمُ نَعِيمٍ فِيهِ لِلنّاسِ أَنْعُمُ
فَيَمْطُرُ يَوْمَ الجُودِ مِنْ كَفِّهِ النَّدَى ... وَيَقْطُرُ يَوْمَ البُؤْسِ مِنْ سَيْفِهِ الدّمُ
فَلَوْ أَنَّ يَوْمَ الجُودِ أَرْخَى زِمَامَهُ ... عَلَى النَّاسِ لَنْ يَبْقَى عَلَى الأَرْضِ مُعْدِمُ
وَلَو أَنَّ يَوْمَ البُؤْسِ يُوصِلُ بُؤْسَهُ ... عَلى الأَرْضِ لَنْ يَبْقَى عَلَى الأَرْضِ مُجْرِمُ

تنبيه: في مبحث نحو وجيه، قال أبو علي الفارسي، أحد أئمة النحو لأبي الطّيب المتنبّي الشاعر المشهور، أين يكون جمعُ فِعْلَى بكسر الفاء وسُكُون العَيْنِ، فقال: بديهته مجلى وضربى، قال أبو علي: "طالعت مظان ذلك من نحو ولغة ثلاث ليال فلم أجد ثالثًا". اهـ.

(1) الشاعر هو: الحسين بن مطير بن مكمل الأسدي (ت169هـ/ 785م)، شاعر متقدم في القصيد والرجز، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. له أماديح في رجالهما. وكان زيه وكلامه كزي أهل البادية وكلامهم. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، ص: 260.

حرف الحاء

[حَرْثُ المَرْءِ فِعْلُهُ، وَحُكْمُهُ طَبْعُهُ، الحُكْمُ دَالٌّ، مَدْلُولُهُ الأَفْعَالُ]

قال المصّر في هذا الموضع شعرا نصّه: / 19/

فِعْلُكَ تَقبَحُ أَوْ تَحسَنُ وَمَا مِنْ شَيءٍ كَمَنْ يُحْسِنُ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا بِأَفْعَالِهم فَدَعْ مَا تُزَخرِفُ الأَلْسُنُ
نَتِيجَة عَقدِ القَبَا فِعْلُهُ بِمَا عِنْدَهُ يُعْرَفُ المَعْدَنُ

قوله: "حَرْثُ المَرْءِ فِعْلُهُ" أي من خيرٍ أو شرٍّ، وهو تلميحٌ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾[1] إلى قوله: ﴿بَصِيرًا﴾[2]، ولقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[3].

قوله: " وَحُكْمُهُ طَبْعُهُ " مبتدأ وخبر، كالجملة التي قبله، أي أنّ طبيعته وجِبِلَّتَهُ وسَجِيَّتَهُ حاكمةٌ عليه بخيرٍ فخير أو شر، فقد مرّ عيسى عليه السلام بقوم من اليهود، فقالوا: شرًّا، فقال هو: خيرًا، فقال له الحواريون: يا روح الله يقولون شرًّا، وتقول: خيرًا، فقال: كل واحد ينفق ممّا عنده. ومرّ عليه السلام بكلب ميت فقال الحواريون: ما أنتن رائحته! فقال عليه السلام: ما أشدّ بياض أسنانه.

ومن شرّ الطِّباع طبع الإنسان على حُبِّ المال، فقد مرّ عليه السلام

(1) سورة الانشقاق، الآية: 6.
(2) سورة الانشقاق، الآية: 15.
(3) سورة الشورى، الآية: 20.

والحواريون على كهف فيه ذهبٌ عظيمٌ، فاستشرف له الحواريون، فقال لهم عليه السلام: دعونا من هذا القتول، وذهب بمن معه، فرجع ثلاثة له فقالوا لأحدهم: اذهب آتنا بدابة نُحمل عليها، فذهب وبقي عند الكنز اثنان، فاتفقا على أنهما يقتلانه ويقتسمان المال، ورغب هو المال فأتاهم بطعام مسموم ليموتا ويأخذه وحده، فلمّا آتهما قتلاه، وشرعا في الأكل فماتا وبقي المال، ولما رجع عيسى عليه السلام وجدهم موتى، فقال للحواريين: "ألم أقل لكم دعونا من هذا القتول". اهـ.

وقوله: "الحُكْمُ دَالٌّ" أي الحكم الطبيعي الجبلي، مدلوله الأفعال من خير أو شر، ممن طبع على سوء ظهر في أفعاله، ومن طبع على خير فكذلك. وإلى هذا يشير قوله ﷺ: "**نِعْمَ/ 20/ العَبدُ صُهَيبُ لَوْ لَمْ يَخَفِ اللهَ لَمْ يَعْصِه**"[1]، أي لكونه جُبِلَ على الطّاعة والتّقوى وفعل الخيرات، لا يقدر على فعل شر.

ألا ترى إلى عتبة أم حاتم الطّائي، أخذت حظّها من ميراث أبيها، فصارت تجود جودًا مفرطًا، فلامها إخوتها فلم تمتثل، فاتفقوا على أن يعزلوا عنها مالها لعلّها تعرف حرارة الجوع، ثم ردّوه لها بعدما جاعت جوعًا عظيمًا، فزادت في الجود وأنشدت تقول ما نصّه:

لَعَمْري لَقدْ ما عَضّني الجوعُ عضَّةً فآلَيْتُ أنْ لَا أَمْنَعَ الدهر جَائِعا
فَقُولَا لِعَاذِلِي الزَّمَانِ أَعْفِنِي فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفعَلْ فعَضِّ الأَصَابِعا
وَمَاذَا عَسَاكُم أَنْ تَقُولُوا لِأُخْتِكُمْ سوى عَذْلِكم أو عَذْلِ مَنْ كانَ مَانِعا
وَمَاذَا تروْنَ اليَوْمَ إِلَّا طَبِيعَةً فَكَيْفَ بِتَرْكِي يَا ابْنَ أُمِّ الطَّبَائِعَا

وقد أتت بحاتم الطّائي كريم الجاهلية على الإطلاق؛ فلا شكّ أنّه أعرف النّاس في الكرم، وضرب به المثل فيه. **المثل**: "حشف وسوء

(1) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير المعروف، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، دط، 1997، ج9، ص: 310.

مكيلة"، هذا مثلٌ سائرٌ أصلهُ أنّ الطّاعون كان بالشام في دولة بني أمية، فلمّا ملك بنو العباس سنة (132هـ) اثنتين وثلاثين ومائة، ذهب الطّاعون عنهم بقدرة الله، فجاء أعرابيٌّ منهم إلى الخليفة أبي جعفر المنصور العباسي، فقال له: احمد الله يا أعرابي بذهاب الطّاعون فحكم بدولتنا، فقال الأعرابي: "حشف وسوء مكيلة"، أي دولتكم والطّاعون فضحك المنصور. والمعنى لا يجتمع علينا عقد تبان، فصار ذلك مثلاً سائرًا.

وحاظين كبنات مالفين، كنّات حاظين من الحظوة والصّون، والحفظ، ومنصوب بالياء بلا، بعامل محذوف، أي عرفتم أيها العرب بهذا، وبنات تمييز والصلف الطلق يقال صلفت المرأة إذا لم تَحض عند زوجها، وإعرابه كالذي قبله، والكنّة زوجة ابنك.

وحَمُقَ حُمْقَ صاحبة النعامة، وذلك أن أعرابية وجدت نعامة خنقتها صوانة فرجعت/ 21/ بيتها لهدية الذّبح، وقالت لا معروف بيننا، يعني لا تضايف بيننا، وذهبت لها فوجدتها، قد ساغت الصوانة وذهبت، فضرب بها المثل في الحمق.

"حَثُ أعوج"، وذلك أنّ هشام بن عبد الملك ولّى العراق أخاه من الرضاعة، وهو خالد بن عبد الله القسري، ولما كثرت الشكاية فيه عزله، وولّى مكانه يوسف بن عمر الثقفي، فعمل له نفقًا تحت الأرض وسجنه. وقد كان قال له تسنّ في سنّة الأمير الذي يأتي بعدك فيك، فأبى فأديرت له دواب بين الكوفة ودمشق، ونقب عنه أصحابه، وحثّ السّير فوقف أول الفجر بباب مسلمة بن عبد الملك فأجاره، قال فيه الفرزدق:

وَلَـمَّـا رَأَيْـتُ الأَرْضَ قَـدْ سَـدَّ ظَـهْـرَهَـا وَلَـمْ يَـبـقَ إِلَّا بَـطْـنَـهَـا لَـكَ مَـخْـرَجـا
نَـادَيْـتُ الَّـذي نَـادَاهُ يُـونُـس بَـعْـدَمَـا ثَـوَى فِـي ثَـلَاثِ مُـظْـلِـمَـاتٍ فَـفَـرَجـا
نَـجَـوْتُ وَلَـمْ تَـمْـنُـن عَـلَـيـكَ طَـلَاقَـة سِـوَى حَـثُّك التَّـقْـريـبُ مِـنْ آلِ أَعْـوَجـا

قوله: أعوج أصله فرسٌ أعطاه سيدنا سليمان لأصهاره الأزد،

فنسلت منه العرب، وصار يسير خالد هذا من الكوفة إلى دمشق في ليلة، لما استغربته العرب ضربنا به المثل، فكان عندها من العجب.

ومن العجب أيضًا أنّ السلطان أحمد الذهبي السّعدي[1]، لمّا مات بالطاعون بفاس الجديد سنة اثنتي عشرة وألف، أوصلوه إلى مراكش في تسع وعشرين ساعة، بعدما أديرت له في الطريق أربعون بغلةً[2]. وأعجب أنّ سيدنا عبد الله بن الزبير، أرسله عبد الله بن أبي سرح بالبشارة إلى عثمان وعلي رضي الله عنهما، بفتح إفريقية، فبلغ المدينة في خمسة وعشرين يومًا، وروى سليمان بن جرير في أقل.

(1) أحمد المنصور السعدي، الملقب بالذهبي، ملك مراكش وفاس (أبو العباس، محدث، مؤرخ، أديب، شاعر. ولد بفاس وبويع بالخلافة سنة 986هـ، وتوفي في 11 ربيع الأول. له نظم، وتآليف. طبع بعضها). ينظر: الكتاني، سلوة الأنفاس،ج3، ص: 226-228، الأزهري، اليواقيت الثمينة، ج1، ص ص: 22-23، حاجي خليفة، كشف الظنون، ص: 815.

(2) ولا بد على هذه المدة اليسيرة التي نقل فيها السلطان أحمد الذهبي السعدي بعد موته بفاس الجديد لمراكش. أبو راس الناصر، إسماع الأصم، وظ: 22.

حرف الخاء

[خَبَرٌ وَاهِي، لَيْسَ بِنَاهِي، الخُمُولُ حَبْلٌ وَثِيقٌ، وَهَمٌّ وَثِيقٌ يَدْخُلُونَ فِيهَا]

قال المصّر في بعض الحِكَم: الخمول نعمة والنّفس تأباه، والظهور نقمة والنفس ترضاه/ 22/ وقال الشاعر:

كُنْ خَامِلَ الذِّكْرِ بَينَ النَّاسِ وَارْضَ بِهِ تَلْقَى السَّلَامَةَ فِي الدُّنْيَا وَفِي الدِّينِ
مَنْ خَالَطَ النَّاسَ لَمْ تَسْلَمْ دِيَانَتُهُ وَلَمْ يَزَلْ بَينَ تَحْرِيكٍ وَتَسْكِينِ

إلى قوله وعدّها الشيخ أبو مدين ركنًا من أركان الولاية الأربعة، قوله وقال الغزالي الخ، هو أبو حامد الطوسي واسمه محمد[1]، والغزالي إمّا بالتخفيف نسبة إلى غزالة قرية من قرى طوس، وإمّا بالتشديد نسبه للغزل لقوله:

نَسَجْتُ لَهُم غَزْلاً رَقِيقًا فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لَهُ نَسّاجًا فَكَسَّرتُ مَغْزَلِي

توفي سنة خمس وخمسمائة، وأبو مدين هو شعيب بن حسين الخزرجي الأنصاري القطيني نسبة إلى قيطنة، قرية من قرى إشبيلية بالأندلس، توفي سنة أربع وتسعين وخمسمائة، قلت: قوله وعدّها ركناً من أركان الولاية الأربعة، الضّمير في عدّها للعزلة المحبوبة من مخالطة الناس، ولذا قال العارف بالله ابن عبان في شرح الحكم العطائية ما نصّه:

يا من يريدُ منازلَ الأبدال من غيرِ قصدٍ منه للأعمال
لا تطمعنّ بها فلست من أهلها إن لم تزاحمهم على الأحوال
بيت الولاية قسّمت أركانها ساداتنا ذوو الأبذال
ما بين صمت واعتزال دائم والجوع والصبر النزيه العالي

(1) ينظر ترجمته في وفيات الأعيان 4/ 216 وتبيين كذب المفتري ص 291، سير أعلام النبلاء 19/ 322 والوافي بالوفيات 1/ 274 الطبقات الكبرى للسبكي 6/ 191، العبر 4/ 10، شذرات الذهب 4/ 10، والمنتظم 9/ 168.

ولا شكّ أنّ الخمول الذي ذكره المصّر تتضمنه العذلة ويندرج فيها، قال ابن عبان: لا شيء أضر على المريد من الشهرة وانتشار الصّيت، لأنّ ذلك من أعظم حظوظه التي هو مأمورٌ بتركها، ومجاهدة النّفس فيها، وقد تسمح نفس المريد بترك ما سوى هذا من الحظوظ، ومحبّة الجاه، وإيثار الاشتهار مناقضٌ للعبودية التي هو مطالبٌ بها/ 23/.

قال إبراهيم بن أدهم[1]: " مَا صَدَقَ اللهَ من أَحَبَّ الشُّهْرَةَ "، وقال سهل التّستري: " طريقتنا هذه، لا تصلح إلّا لأقوامٍ كُنِسَت بأرواحهم المزابل". وقال رجلٌ لبشر الحافي: أوصني، فقال: أخمل ذكرك وأطب مطعمك، وقال أيضًا: " لا يَجِدُ حَلاوَةَ الآخِرَةِ رَجُلٌ يُحِبُّ أَنْ يَعْرِفَهُ النَّاسُ ".

وقال الفُضيل بن عياض ﷺ: " بَلَغَنِي أَنَّ اللَّه عزّ وجلّ يَقُول في بعض ما مَنَّ به على عبده: أَلَمْ أُنْعِم عَلَيْك؟ أَلَمْ أَسْتُرك؟ ألم أخمل ذكرك"، ثمّ إنّ محبّة الاشتهار والاستعلاء، ممّا يقدح في الإخلاص لله، أما سقوط النّاس عن النظر إليهم، أو سقوط النّفس عن النظر إليها، ولا يثبت جميع ذلك إلّا بالحمق أو سقوط المنزلة عند نفسه، وعند النّاس لا بد أن يكون بهذه.

وقال الشيخ أبو طالب المكّي ﷺ: " الإخلاص عند المخلصين، إخراج الخلق من معاملة الخالق، وأول الخلق النّفس والإخلاص، عند المحبّين أن لا يُعمَل عملاً لأجل النّفس وإلّا دخل عليه مطابقة العوض أو تشوق حظّ إلى طبعٍ، والإخلاص عند الموحّدين خروج الخلق من النظر إليهم في الأعمالِ، وترك السكون والاستراحة بهم في الأحوال" اهـ.

(1) ينظر ترجمته في: تهذيب ابن عساكر، ج2، ص: 167، وابن كثير، البداية والنهاية، ج10، ص: 135، والشريشي،ج2، ص: 82، والأصفهاني، حلية الأولياء، ج7، ص: 367.

فإذا أَخمل العبد نفسه وألزمها التواضع والمذلة، واستمرت على ذلك حتى صار له خلقًا وحيلةً، بحيث لا يجد لطبيعته ألمًا، ولا لمذلته طمعًا تزكو نفسه ويستنير بغدو الإخلاص قلبه، وينال من ربّه أعلى درجات الخصوصية، ويحصل على أوفر نصيبٍ من المحبّة الحقيقية.

قال الشيخ أبو طالب: " ومتى ذلّ في نفسه واتضع، فلم يجد لمذلته طمعًا ولا لطبيعته حسًّا، فقد صار الذّل والتواضع كونه، أي عنوانه". فهذا لا يكره الذّم من الخلق بوجود النقص في نفسه، ولا يجب المدح منهم لفقد القدر والمنزلة، فصارت الذلّة والضّعة صفة لا تفارقه/ 24/ لازمة لزوم الزبالة للزبال، والكاسحة للكساح، وهما صنعتان له كسائر الصنائع، وربما مجزوا بهما لعدم النظر إلى نقصهما، فهذه ولاية عظيمة له من ربه، قد ولّاه على نفسه، وملّكه عليها لقبرها بقبره. وهذا مقامٌ محمودٌ وبعده المكاشفة.

المثل: "خانَ في خانٍ"[1]، هذا من كلام الحريري، أي سرق في فندق خانٌ مبعدٌ، ودان هو من كلام عائشة بنت طلحة الجميلة المشهورة، بنت أحد العشرة ﷺ وذلك أنّ زوجها مصعبُ بن الزبير رضي الله عنهما لمّا قتل المختار، للأخذ بالثأر، ولّاه أخوه عبد الله رضي الله عنهما على العراق.

وقد وفد عُبَيْدُ الله بن ظبيان[2] وابن مسمع وسائر وجوه العراق على عبد الله بن الزبير، فلم يعبأ بهم، وقال: أريد موالاة رجال الشام، فقال

(1) المثل خفي الأسود أوساها، وفي القرآن ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ من كاتبه عبيده محمد بن إبراهيم. اهـ. إسماع الأصم، وو: 25.

(2) ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تح: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1998، ج58، ص: 157.

له عبيد الله بن ظبيان: مثلنا ومثلك، كقول الأعشى: يعشق امرأة تعشق غيره، وهو يعشق غيرها:

عُـلّـقْـتُـهَـا عَـرضـاً، وَعُـلِّـقَـتْ رَجُـلاً غَـيـرِي، وَعُـلِّـقَ أُخـرَى ذَلِـكَ[1] الـرَّجُـلُ

هو أحبّها وهي أحبّت غيره، وغيره أحبّ امرأة أخرى، فنحن أجبناك وأنت أجبت أهل الشام، وهم أحبّوا عبد الملك بن مروان ثمّ انصرفوا عنه، وكاتبوا عبد الملك، فأتى العراق بجنود لا تحصى، فلقيه مصعب بمثل ذلك، فكاتب عبد الملك أمراء مصعب يعدهم بالولايات والإقطاعات والعطايا، ومن جملتهم إبراهيم بن الأشتر النخعي قاتل عبيد الله بن زياد، الذي قتل سيدنا الحسين عليه السلام، فأتى إبراهيم بمكتوبه لمصعب، وتحقق أنّ الأمراء كلّهم أتاهم ما أتاه، وكتموا ففطن مصعب لغدرهم مثل عتّاب بن ورقاء[2]، والمهلّب بن أبي صفرة[3] وغيرهما. فلمّا التقى الجمعان قتل إبراهيم وتسلل أهل العراق إلى عبد الملك، وخذلوا مصعبًا فقتله عبد الله بن ظبيان وهو من أمرائه، فعند ذلك قالت عائشة المذكورة خان مبعد/ 25/ وداني، ولذا أخذه حميد الأرقط فقال ما نصّه:

تَـوَلَّـى قِـتَـالَ الْـمَـارِقِـيـنَ بِـنَـفْـسِـهِ وَقَـدْ أَسْـلَـمَـاهُ مُـبْـعَـدٌ وحَـمِـيـمُ[4]

(1) هكذا في ديوان الأعشى: غَيرَهَا. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط1979، ج4، ص: 126.

(2) عتاب بن ورقاء (ت77هـ/ 696م) بن الحارث بن عمرو، أبو ورقاء الرياحي اليربوعي التميمي: قائد، من الأبطال. ولّاه مصعب بن الزبير إمارة أصبهان، انتدبه لقتال الخارجين عليه في الري، فسار إليهم وقاتلهم ففتح الري عنوة، ومهد أمورها. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 200.

(3) المهلب بن أبي صفرة (7-83هـ/ 628-702م) ظالم بن سراق الأزدي العتكي، أبو سعيد: أمير، بطاش، جواد، قال فيه عبد الله بن الزبير: هذا سيد أهل العراق. ولاه عبد الملك بن مروان ولاية خراسان، فقدمها سنة 79هـ، ومات فيها. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج7، ص: 315.

(4) ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك،(باب الفاعل)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط20، 1980، ج2، ص: 81.

فهو على لغة أكلوني البراغيث، واللغة المشهورة أسلمه بالتجريد لإسناد الفعل[1] للظاهر بعده، انظر ذلك في باب الفاعل. خذ من جذع ما أعطاك[2]، أصل هذا أن سُليخًا كانوا في الجاهلية ملوكًا، ولهم إتاوة على غسّان دينار للبيت، فأتى سبطة السليخي لجذع الغسّاني لقبض الدينار وضيّق عليه، فقال له: رفقًا أدخل بيتي أتيك بالدّينار، فدخل وأخرج سيفه وشرع يضربه ويقول: خُذ من جذع ما أعطاك، فذهبت مثلاً سائرًا[3]، ومن مُلْكِ غسَّان نحو الخمسمائة سنة، حتّى هدم ملكهم الإسلام، أولهم جذع وآخرهم جبلة بن الأيهم[4]، الذي هرب أيام عمر ﷺ للقسطنطينية عند هرقل ومات كافرًا، يُقال إنّ روم بن حولة من نسله والله أعلم.

(1) عند قول ابن مالك: "وجرّد الفعل إذا ما أسندا لا كثيرا" وجمع ظفار الشعراء. إسماع الأصم، وظ: 26.

(2) المفضل بن محمد بن سالم الضبي، أمثال العرب، تح: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1983، ص: 126، وينظر: جمهرة العسكري: ج1، ص: 421، وفصل المقال، ص: 343، والميداني، ج1، ص: 156، والمستقصى، ص: 208، والعقد، ج3، ص: 122.

(3) انظر قصته في شرح ابن زيدون بمرثية ابن عبدون. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، (باب جزع) دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987، ج3، ص: 1195.

(4) جبلة بن الأيهم (ت20هـ/ 641م): بن جبلة الغساني، من آل جفنة: آخر ملوك الغساسنة في بادية الشام. عاش زمنا في العصر الجاهلي، وقاتل المسلمين في دومة الجندل (سنة 12هـ) وحضر وقعة اليرموك (سنة 15 هـ) وهو على مقدمة عرب الشام من لخم وجذام وغيرهما، في جيش الروم، وانهزم الروم، وجبلة معهم. ثم أسلم، وهاجر إلى المدينة (في رواية ابن خلدون) وارتد فيها، وخرج إلى بلاد الروم. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، ص: 111.

حرف الدّال

[دَبَّرْ وَشَاوِرْ، الدَّهْر كَأسٌ، تُسْقَى مِنْهُ النَّاسُ]

المراد بالكأس الإناء، وأصله الكوب الذي يشرب فيه الخمر، قول المصّر: قال بعض العلماء التدبير نصف المعيشة، أراد ببعض العلماء الشيخ إبراهيم الشبراخيتي والشيخ التتائي، كلاهما قاله في أول باب الفرائض. قوله وفي بعض الحِكَم رُبَّ حِيلَةٍ أَنفَعُ مِنْ قَبِيلَةٍ، ومن أمثلة ذلك أنّ قريشًا وغطفان وبني مرة وتميم والأحابيش وأكثر العرب تحزبوا، وأتوا المدينة سنة أربع أو خمس في نحو سبعة آلافٍ، قال تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾[1]، وظاهر اليهود كبني قريظة.

فأتى أبو نعيم الأشجعي بعدما بلغت القلوب الحناجر، وضاق الحال. فقال يا رسول الله: إني لم يعلم بإسلامي أحدٌ من هؤلاء الأحزاب، أفأتحيّل/ 26/ بحيلة؟، قال له ﷺ: "**افْعَل مَا بَدا لَك، الحَربُ خدْعَة**"[2]، فذهب إلى بني قريظة، فقال لهم وسيدهم كعب بن أسد: كيف بكم يا مغرورين؟ أردتم أن تقاتلوا محمداً مع قريش والأحزاب، إذا لم ينالوا شيئًا رحلوا فتركوكم في يده، ولَا قِبَلَ لكم به، قالوا: وما الرأي؟ قال: تقولون لهم لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهونًا، فاستصوبوا رأيه وشكروه على نصيحته، ثمّ ذهب إلى قريش والأحزاب فقال لهم: إنّ اليهود ندموا على مظاهرتكم، وقالوا لمحمد أترضى أن

(1) سورة الأحزاب، الآية: 10.

(2) أخرجه البخاري في (الجهاد، باب الحرب خدعة/ 2/ 366)، ومسلم في (الجهاد، باب جواز الخداع في الحرب/ 3/ 1362)؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

تأخذ منهم رهونًا، فإن ذهبوا مكّناهم بيدك، وإن استربتم في قولي: فابْعَثُوا لهم، فَبَعَثُوا لهم للقتال، فقالوا: حتى تعطونا رهونًا، ففسد ما بينهما. فكل من اليهود والأحزاب يقول نَصَحَنَا أبو نعيم، ولمّا لم يساعدوهم أخّروا الحرب، حتى أتاهم ريح الصّبا، فانقلبوا خائبين، لم ينالوا خيرًا، وكفى الله المؤمنين القتال.

قوله: "وشاور"، المشورة مشروعة قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[1]، وأختها الاستخارة، وأما أخذ الفال[2] من المصحف فمنعه النويري، وأجازه ابن بطة من الحنابلة، وظاهر كلام الشيخ أحمد بابا في ذيل الديباج عن صنيع ابن مرزوق جوازه، ولمّا بويع علي رضي الله عنه بالخلافة، وتكاسل عن البيعة معاوية ومن كان أمّرهم عثمان رضي الله عن الجميع؛ فشاور على المغيرة بن أبي شعبة، فقال له: اكتب لكلِّ عاملٍ بأنه باق على ولايته، حتى تمضي سنة ثم افعل ما بدا لك"، ولمّا لم يفعل قال له: عاجلهم بالحرب، ليَهلِك من هلك عن بينةٍ، ويَحيَا من حَيِي عن بينةٍ، ثم إنّ عليا قصَّ على ابن عباس مشورتي المغيرة، فقال له: نصحك في الأولى، وغشّك في الثانية فسكت.

المثل: "دعوا دمًا ضَيَّعَه/ 27/ أَهْلُه"، وذلك أنّ الزّباء المتقدمة احتالت على جذيمة قاتل أبيها، حتّى قبضته وضبطت أديما لدمه، قالت تحفّظوا على دم الملك، فسقطت قطرة في الأرض لمّا قُدَّتْ رواهشه، فأخذوا في مسحها، فقال: دعوا دمًا ضَيَّعَه أهله، فذهبت مثلاً. ومن ثمّ علمت أنه يؤخذ بثأره، وقد قيل:

وقَدَّمَتِ الأدِيمَ لِراهِشَيْهِ وأَلْفَى قولَها كَذِباً ومَيْنَا

دون عليان خرط القتاد، القتاد شوكٌ معوجٌ لأعلى لا يأتى خرطه،

(1) سورة آل عمران، الآية: 159.

(2) أخذ الفال من المصحف ضعّفه بعضهم، وأجازه آخرون، إسماع الأصم، وظ: 27.

وأصل هذا أنّ كليبًا لما قتل ناقة البسوس صارت تبكي وتقول: يا قلة الوالي وهي ضيفة عند ابن أختها جسّاس الشيباني، فقال لها: هوني عليك أيتها الحرّة، إني لا أعقر بها فحلاً، أعزَّ على أهله منها، ولمّا سمع كليبًا، وكان عنده بعيرًا يُسمّى عليان ظنّ أنه مراد جسّاس، فقال: دون عليان خرط القتاد، وجسّاس أراده هو عينه، فقتله. انظر المطول للسّعد، ومع ذلك عند جسّاس رجلى أخت كليب، وعند كليب جليلة أخت جسّاس، فدامت الحرب بين شيبان وتغلب أربعين سنة.

دن بينهم عطر منشمٌ، هذا مثلٌ يضرب للحروب العظيمة، وأصله أن منشمًا امرأة كان لها عطر تطيب به أهل القتال، فإذا فرّوا عُرِفُوا نظير ما فعلته حليمة، لما سار المنذر لقتال الأعرج الغسّاني، حكى أنّهم رأوا النجوم في النّهار، قال النابغة في السّيوف:

تُخَيِّرْنَ مِنْ أزمانِ يومِ حَليمةٍ إلى اليوْمِ قَدْ جُرِّيْنَ كُلَّ التَّجاربِ[1]

ولمّا اتصلت الحرب بين ذيبان وعبس أربعين سنة، وهي المعروفة بحرب داحس والغبراء، الأولى فرس قيس بن زهير بن جذيمة العبسي، والثانية فرس حذيفة وأخيه حمد ابني بدر الذُّبياني بضمّ الذّال، وقد أوقع الصّلح بينهما الحارث/ 28/ بن عوف المري، وخارجة بن سنان، سببه تزوّج الحارث بابنة أوس بن حارثة الطّائي، ابن سعدة المشهورة في العرب، قال المخبل ما نصّه:

سَعَى سعي غَيْظُ بْنُ مُرَّةَ بَعْدَمَا تَبَزَّل ما بَيْنَ العَشِيرَةِ من دمِ
فَأَقْسَمت بِالْبَيْتِ الَّذي طَافَ حَوْلَهُ رِجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ
يَمِيناً لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وُجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيْلٍ وَمُبْرَمِ
تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا زمانا يدق بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ

(1) أمثال العرب، المصدر السابق، ص: 170. ابن عليّ المرادي المصري، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تح: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، دمشق، ط1، 2008، ج2 ص: 749.

حرف الذّال

[ذُلٌّ تَذَل، الذُّلُّ فِي الهَوَاءِ، وَالعِزُّ فِي التَّقْوَى]

قال المصّر: هذه حكمة بالغة يرشد لها قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾[1] الآية. قلت وأيُّ ذلٍّ لهوى النّفس، الذي يقودها إلى النّار. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[2]، ولا شكّ أنّ طغيانه وإيثاره الدّنيا، إنّما هو من هوى النفس. قال الشيخ أبو حيّان في بعض الرؤساء بمصر ما نصّه:

علا عقله ميم هواه، وما درا بأن هوى الإنسان للنار قائدة

وأيّ عزٍّ كالتُّقى الذي هو ذريعة إلى دخول الجنّة، فقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[3] قال ابن عطاء الله في حِكَمِه: أخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك. اهـ. وهوى النّفس هو الأولى بإخراجه عن البشرية أولاً، فإنه أضرُّ أوصافه. وقال أيضًا: لا يخاف عليك أن تلتبس الطرق عليك، وإنّما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك. اهـ. وقال أحمدُ بن خَضْرَوَيْه البَلْخِيُّ رضي الله عنه: الطّريق واضحٌ والحَقُّ لائحٌ، والدّاعي قد اسمع فما التحيّر بعد هذا إلّا من العمى./ 29/

فائدة: روي أنّ هارون الرشيد حلف بطلاق زوجه ابنة عمّه زبيدة، أنه يدخل الجنّة، فأفتى فقهاء بغداد بحنثه فتحيّر، فقيل له: ابعث إلى

(1) سورة النازعات، الآية: 40.

(2) سورة النازعات، الآيات: 37 ـ 39.

(3) سورة الحشر، الآية: 20.

مذهب مصر وهو الإمام الليث بن سعد، فبعث إليه وأعاد عليه يمينه، فقال له: هل هوت نفسك فاحشةً ونهيتها خوفًا من الله، فقال: نعم، قال له: لأختنا عليك. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[1]؛ بل لك جنتان لا جنّة واحدة، لقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[2].

ففرح الرشيد، ودخل عليه سرورٌ عظيمٌ، وصفقت زبيدة وضربت بيدها الخدر فرحًا، ثم إنّ الرشيد قال له: أُوَلِّيك مصر فأبى، وأعطاه هو وزبيدة مالاً عظيمًا فأبى، وقال: لي بمصر ضياع أردت أن تكون محروقة محررة من كل مطلب مخزني، فَكُتِبَ له ما أراد.

قال شهاب الدّين في شرح الشّفا، مهما قال مالكٌ رضي الله عنه حدثني من أثق به، فالمراد به اللّيْثُ بْنُ سَعْدٍ[3] رضي الله عنه، وقال في السّلوانية:

ولا عيش إلّا عيش الآخرة لمبتغ نعيماً مقيماً دائماً لا يوادع

المثل: "ذَرْ شَقِي بعد البراجم"، هذا مثلٌ يضربُ لعدم إقالة الخبيث من شيء أردته منه، حتّى إنّه يكون كالإغراء به، وأصله أن عمر بن هند من ملوك آل محرق، أهل كرسي الحيرة، له دمٌ عند بني تميم؛ فحلف أن يحرق منهم مائة، فغار عليهم، فحصد بيده تسعة وتسعين وعجوزاً

(1) سورة النازعات، الآيتان: 40، 41.

(2) سورة الرحمن، الآية: 46.

(3) الليث بن سعد (94-175هـ/ 713-791م) الليث بن سعد عبد الرحمن الفهمي: بالولاء، أبو الحارث: إمام أهل مصر في عصره، حديثا وفقها. قال ابن تغري بردي: " كان كبير الديار المصرية ورئيسها وأمير من بها في عصره، بحيث إن القاضي والنائب من تحت أمره ومشورته ". أصله من خراسان، ومولده في قلقشندة، ووفاته في القاهرة. وكان من الكرماء الأجواد. وقال الإمام الشافعي: الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به. أخباره كثيرة، وله تصانيف. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج5، ص: 248.

فقالت: أيها الملك يمينك لا تبرأ بعجوز، فسرّحها، وجعل أخدودا لحرق أولئك، وصار الأعوان يكبّونهم في النار.

وإذا بوفد البراجم التميمي كان بجهة المدائن، فشمّ الحريق فقال الملك: أظن أن عنده مهرجاناً اليوم، فقصده ليأكل الطعام، والشي، وشرب الخمور، لأنه كان معه طرف من الطفولية، وظنّ أن الملك يقتص في ثأره على البطن/ 30/ التي عندها دمه من بطون تميم فوقف عليه، فرأى تميماً يحرقون، فخجل، فقال الملك: بهذا أتمّم قسمي، فقيل له: إنّه لا علم له، ولا هو من ذلك البطن، فقال: ذر شقي البراجم، أي: أتركه يذهب به إلى النّار، فلمّا لم يجد بُدًّا، قال أيها الملك: أنا شريف قومي، لا يكبّني في النّار إلا أكفّائي، فأمر اثنين من أعيان دولته فذهبا به، فلمّا وقفا به على شفير الأخدود وهو بينهما، فقال لهما: دعاني أفسح شسع نعلي، قالا: ما لك من أرب بذلك؟، فقال لهما، إني أردت أن لا أدخل النّار إلّا قصيفا فانحنا[1] إلى نعليه، وقبض بيديه برجل كل واحد منهما، فسقط هو وهما معاً في النّار، فاحترقوا، ثمّ إنّ قوله: أردت إلخ، ضربت العرب به المثل أيضًا، انظر كتاب اليوسي.

(1) الصواب: انحنى.

حرف الراء

[رُبَّ دُرٍّ فِي نَهْرٍ، الرِّفْدُ لِلْحَرِّ كَالظِّلِّ فِي الحَرْبِ]

رُبَّ من حروف الجر دخلت على دُرّ بضم الدّال فجرّته، وهو كبار الجوهر، وصغاره هي اللؤلؤ، وهذا مثلٌ صريحٌ بعضهم يعبّر عنه، كما قال المصّر وبعضهم يُعبر عنه بلفظ رب موجود في نهر لا يوجد في بر بحر. النهر السيل الكبير بالماء العذب، والصّغير يقال له جدول، وأراد ضارب المثل بالبحر هنا الأجاج، لأنّه هو الذي يغاص فيه للجوهر، كبحر القطيف[1] حول البصرة. وأمّا بحر عيذاب[2] ففيه در ليس بجيِّد. وأمّا بحر الروم ففيه المرجان، وربما يوجد فيه مثل خزر صفا، إلا أنه في الجهة الشمالية منه.

وقول المصّر: الرفد للحر بكسر الراء المهملة العطاء، قال تعالى: ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾[3]. وقوله: "كالظّل في الحرّ"، أتى المصّر بجناس

(1) كتبت القطيف في الخرائط الأوربية بعدة أوجه منها: Qattifh Kattifh Catifah. Qateefh Katifh Qatif ويذكر د. عبد الوهاب عزّام أن الساحل الشرقي من الخليج كان يسمّى القطيف قبل أن يَغلِب عليه اسم الخَطّ. ويذكر صاحب التعريفات الشافية أن الخليج كان يسمّى "بحر القطيف". أما شبرنكر فينصّ على أنه كان يسمّى خليج القطيف، قبل أن يعرف بأي اسم آخر. تاريخ العرب قبل الإسلام 140:1 عن Enoy VoI2. p 821. ينظر: https://ar.wikipedia.org/wiki

(2) عيذاب، وهي مدينة على ساحل بحر جدة غير مسورة، أكثر بيوتها الأخصاص، وفيها الآن بناء مستحدث بالجص. وهي من أحفل مراسي الدنيا بسبب أن مراكب الهند واليمن تحط فيها وتقلع منها زائداً مراكب الحجاج الصادرة والواردة. وهي في صحراء لا نبات فيها ولا يؤكل فيها شيء إلا مجلوب. ابن جبير، رحلة ابن جبير، محمد بن عبد المنعم الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت ط2، 1980، ص: 423.

(3) سورة هود، الآية: 99.

عجيب بين الحَرِّ والحُرِّ ويسمى الجناس المحرف، لأن الاختلاف فيه بالحركة فقط، وأما جنّة البُرد وجنّة البَرد، فجناس محرّف ولاحق تأمل.

ومعنى كلام المصّر/ 31/ العطاء في مواضعه قابع مذقن من دنس العرض وغيره، كجلوسك في الظّل في شدّة الحرّ يقيك من الرّمضاء، وما ينشأ عنه من عطش ولهفان. والمراد بالحرّ ذو الحياء وحسن الطِّباع، والاختلاف وعدم تكفير النّعم، بخلاف اللئيم فلا ينفع شيء كالسبخة لا تُنبت كلأً ولا زرعًا. وما أحسن قول ابن عبد ربه القرطبي المتوفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة في كتابه المسمّى بالعقد المنظم وهو هذا:

صَحِيفةٌ أتعبتني فيها علَّ وعَسَى عُنْوانها راحةُ الرَّاجي إذا يَئِسَا
مَا زَالَ يُوعِدُنِي طَوْرًا ويُطمعُني حَتَّى مَدَدْتُ إليه الكَفّ مقْتَبِسَا
فَصادفتُ حجَراً لو كنتَ تَضْرِبه مِن لُؤْمه بعَصَا مُوسى لما انْبَجَسَا

وما أحسن قول المصّر: رُبّ درٍّ إلخ، لأنّ الرّاء أول الكلمة، وهي في الإكرام في حشوها، لأنّ أول الكلمة فيه أَلِفُ قَطعٍ، تقول أكرم زيد عمرًا في الماضي، وأكرم في فعل الأمر. وأمّا في المضارع فتقول: يكرم وفي اسم الفاعل يكرم بكسر الرّاء، وفي ضدّه بفتحها والأصل يُؤكْرِمُ ومُؤكْرِمٌ ومُؤكْرِمٌ، إلّا أنّ الهمزة حذفت في الجميع قال ابن مالك:

وهمز حذف أفعل استمر في مضارع ومبني متصف

المراد بنيّة المتصف اسم الفاعل واسم المفعول، كما مرّ، وكذا ما رتب عليه من قوله بعدما مرّ:

من لمْ يجدْ لمداويه بدرهمه أعطى نوائحه لا بد عشرين

وقال آخر:

أَكْرِمْ طَبِيبَك إنْ أَرَدْت دواءه وَكَذَا الْمُعَلِّمُ إنْ أَرَدْت تَعَلُّمَا
إنَّ الْمُعَلِّمَ والطَّبيبَ كِليهِمَا لَا يَنصَحَان إذَا هُمَا لم يُكرَما/ 32/
فاصْبِر لِرأيِكَ إنْ جَفَوتَ طَبِيبَهُ وَاصْبِرْ لِجَهْلِكَ أَنْ يَفُوتَ مُعَلِّمَا

وهو حسن، وقالوا في الجناس الناقص حلقي قبل حقي.

المثل: "رُبَّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ"، هذا المثل أولُ من ضُرب به لقيمان بالتصغير بن عاد الأكبر بن غوص بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام، وذلك أنه رأى رجلا عند امرأته، فسألها عنه، فقالت أخي، فقال ربّ الخ. فصار مثلاً سائرًا في القرى والأمصار على تقادم الأعصار، فيضرب لمن قال أمرًا وأنت تعلم خلافه، لأنّ الأمثال لا يشترط فيها المجانسة[1]، كما يأتي:

"رُبّ طارق بخير" كان كعب بن الأشتر من رؤساء اليهود، وكثر أذاه لرسول الله ﷺ، وجلب الحروب عليه، فقال ﷺ: من لي بابن الأشرف؟، فانتدب لذلك أبو نائلة رضي الله عنه، ومن معه من الخزرج، فأتوه ليلا ليبتاعوا منه زرعًا، فقال: أرهنوني أولادكم، فقالوا: معرة علينا عند العرب، وإنما نرهن لك الأمة أي: السِّلاح، فقال نعم، الوفاء فيها، فواعدوه ليأتوه بذلك، فناداه أبو نائلة ليلاً، فقالت امرأته وهو معرّس بها: هذا صوتٌ يَقطرُ منه الدّم.

فقال: رُبّ طارق بخير، وإنّ الكريم إذا دعي ليلا؛ ولو إلى طعنة أجاب، فخرج وعليه ملحفة، وقد قال لها أيضا: هذا أبو نائلة أخي من الرّضاع، لو وجدني نائمًا ما أيقظني، ولمّا توسط بينهم صاروا يشمونه ويقولون له: ما أعطرك، حتّى احتضنه أبو نائلة وقتله الباقون، وجزوا رأسه وذهبوا به لرسول الله ﷺ فلمّا رآه، قال: أفلحت الوجوه.

(1) وإذا كان الأمر كما ذكر، فأولى أن يقال لمن أعانه أجنبي وأنجده من شدة مع وجود الأقارب والإخوان، ولم ينقذوه. كاتبه العباس وفقه الله. أبو راس، إسماع الأصم، و: 33و.

حرف الزاي

[زُرْ حَبِيبَكَ، وَأَكْرِمْ طَبِيبَكَ، الزَّائِرُ عَلَى الغَبَائِنِ أَدِلَّةٌ فِي الحُبِّ]

قول المصّر، قال الشاعر رحمه الله تعالى ما نصّه: / 33/

وقد كان فيما جاءنا عن نبينا نبي الهدى علمٌ وحكمٌ به نرضى
زر الناس غباً تزدد الحبّ عندهم ولا تكثرن غشيانهم قبري بغضا

هو عقد لقوله ﷺ: "**زُرْ غبًّا تَزْدَدْ حُبًّا**"، قال صاحب موضح السّر المكنون[1] من علم البديع والبيان العقد والحلّ:

فالعقد نظم النثر لا بالاقتباس والحلّ نثر النظم فاعرف القياس

قال المفضل في مجلس المعتصم العبّاسي رحمهما الله ما نصّه:

قفي ودّعينا يا سعادُ بنظرة لقد حان منّا يا سعاد رحيل
أيا جنة الدّنيا ويا غاية المنا ويا رأس مالي هل إليك سبيل
وكنت إذا ما زرت زرت لعلة فأبقيت علتي فكيف أقول
وما كل يوم لي بأرضك حاجة ولا كل يوم لي إليك وصول

قال المعتصم: والله لا سمعت غيره في هذا اليوم.

لطيفة ظريفة من لطائف الكمال بن أبي شريف محشي المحلي شارح ابن السّبكي في وسيم اسمه بدر ونصّه:

يا بدر دين الله صل دنفا صيّره حبّك مثل الخيال
فما تخشى من حب إذا زرته وهل يعاب البدر عند الكمال

(1) يقصد به: موضح السّر المكنون على الجوهر المكنون (وهو تقييد على شرح الشيخ عبد الرحمن الأخضري على منظومته المسماة بالجوهر المكنون في علم البيان للشيخ محمد الثغيري الجزائري المالكي فرغ منها سنة 1115هـ خمس عشرة ومائة وألف).

فأرسل إلى ذلك الوسيم بعض المعاصرين للكمال بقوله:

يا بدر لا تضع لقول الكمال فكل ما قال زور ومحال
البدر لا يخشى نقصا في ترقيه وإنما يخسف عند الكمال

وما أحسن قول الشاعر رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى ما نصّه:

فزر حبّك في كلّ شهر غير يوم ولا تزد عليه/ 34/
فالبدر يجتلى في الشهر ليلة ثم لا تنظر العيون إليه

وعارضه الآخر بقوله:

فزر من تحبّ في كل وقت تزيد كرماً بذاك وإقبالا
فكن كالشّمس تطلع كل يوم على الورى ولا تكن هلالا

فائدة: جرى بين الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كلام مراء، فزار الحسن الحسين للإصلاح، فقيل للحسين لِمَ لَمْ تطحه حتّى أتاك، وهو أكبر منك، فقال له: أنا أولا لدخلت الجنّة قبله، وإنّما أحبّ أن يدخلها قبلي، فانظر إلى هذا الأدب الرقيق والاعتقاد الوثيق.

المثل: "زَيْتٌ وَأَنْتَ حُصْرُم"، هذا مثلٌ سائرٌ يضرب لمن استعجل شيئا قبل أوانه، وذلك أنّ ابن جني أحد أئمة النحو، كان أبوه عبدا روميا مملوكا لسليمان بن فهر الأزدي الموصلي، قرأ على الفارابي وقرأ عليه هو والسلطان عضد الدولة ابن بويه، وكان يعظّمه أشدّ تعظيم. مات سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، وكان أولا يقرئ النحو بجامع الموصل، فمرّ به أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي، فسأله عن مسألة في التصريف فقصّر فيها، فقال له: "زَيْتٌ وَأَنْتَ حُصْرُم"، أي رجعت زبيبا وأنت حصرم، وهو السّموم الحامض، قبل أن يصير عنبًا؛ فذهبت مثلا سائرًا؛ فلازمه مدة أربعين سنة. قال الباحرني: " وليس لأحد من أئمة النحو في فتح المعضلات ما له وكان يناظر المتنبي".

"زن كليبا بابن أخي"، هذا مثلٌ ضُرِب في الجاهلية، يقال

للمتكافئين، وذلك أنّ الحرب لما دامت بين بني شيبان وبكر بن وائل، وقد اعتزلها الحارث بن عبّاد فارس النعامة الشيباني، فدخل ابن أخيه مع بني عمّه، فقتله مهلهل/ 35/ أخو كليب، فلمّا سمع الحارث، قال وفّى مهلهل بثأره لمّا قتل ابن أخي، الآن يقع الصّلح، وبعث له بقوله: "زن كليبا بابن أخي"، فقيل له إنّ مهلهلاً لما قتله، قال: "بؤ بشسع نعل"، فغضب الحارث غضبًا شديدًا، وركب النعامة، وهزم بني بكر بن وائل مراراً، حتى فرّ مهلهل إلى مدحج، وزوّج ابنته منهم، وساقوا لها في مهرها الأَدمي بفتح الهمزة الجلود المدبوغة، فاغتاظ وندم على ترك الصّلح، وقال ما نصّه:

تعز على أخت تغلب يساق مهرها من الآدم

وقد أنشد الحارث بن عبّاد قصيدته المشهورة التي أول كلّ بيت منها: قربوا مربط النعامة مني. وهي ثمانية وخمسون بيتًا. انظر كتاب الدر والعقيان للحافظ التنسي.

"زل زلل عامر"، هو مثلٌ، وذلك أنّ عامر بن الضرب العدواني حكيم العرب الهذلي، حكم أولا بقدر إرث الخشني سيد سخيلة راعية غنمه، ولما كبر صار يزل في حكمه، فضرب بذلك المثل، وكانت له ابنة حكيمة، فإذا علمت بزلله قرعت له العصا؛ فيعلم أنه زل فيتنبّه، فكانوا إذا صدر من أحد ما يكره يضربون له هذا المثل السائر والله أعلم.

حرف الطاء

[طَرْفُكَ سَهمكَ، وَهَوَاكَ حَرْفُكَ، الطَّائِرُ يَنْزِلُ وَالعَاقِلُ يَذْهَلُ][1]

حرف الطّاء أي المهملة، " طَرْفُكَ سَهمكَ، وَهَوَاكَ حَرْفُكَ، الطَّائِرُ يَنْزِلُ وَالعَاقِلُ يَذْهَلُ" الطرف إمّا بفتح الطّاء وهو العين، قال تعالى: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾[2] مسارقة للنظر فمن ابتدائية، أو بمعنى الفاء، وكثيرا ما تعبّر العرب بالسّهم وتعني به العين كقوله ما نصّه: لحاظها سهام المنايا، وقوله: جريحٌ بسهم اللّحظ من مقلتي هند.

وقال جرير:

إنّ العُيُونَ التي في طرفِها مَرض ... قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَا يُحيِينَ قَتْلَانَا

يَقْتُلْنَ ذَا اللُّبِ حتَّى لَا حِرَاكَ لَهُ ... وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا

أيّ أنّ العين تؤثر تأثير السّهم في جلب قفة الحبّ، والتشبيب

---

(1) قال كاتبه السنوسي بن عبد القادر دحّو أمنه الله: " الأليق في تقرير هذا المحل، أن يراك بالطرف مقدارها بالسهم النصيب"، أي: أنّ مقدار طرفك أي ما يراه هو نصيبك من الدّنيا؛ فلا تتكسبن فيها، ولا تلهك أموالك، ولا أولادك عن ذكر الله، ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ سورة الشرح، الآيتان: 7، 8 ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ إذ أنت على ظهرها كالطّائر لا بدّ وإن طال طيرانك أن تنزل يوما ما، ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ سورة النساء، الآية: 78. ولا بدّ وإن كنت ثابت العقل تحكم به في شهواتك، وتقلّبك في مرضاتك، أن تذهل إن لم تتق ربك، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾. سورة الحجّ، الآية: 1. فإن اتقيته كنت ثابت العقل في الدنيا والآخرة ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾. سورة إبراهيم، الآية: 27.

(2) سورة الشورى، الآية: 45.

والزيف مع العفاف/ 36/ كما وقع لبني عذرة، ويقال: أوّل العشق النظر، وأول النّار الشرر، والغالب أنّ الناظم هذا مراده، ويحتمل على بعد أن عين العائن تؤثر في الأشياء بموت أو مرض تأثير السِّهام.

وفي الحديث: العين حق، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾[1]. وقال نبي الله يعقوب عليه السلام لبنيه: ﴿لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾[2]. ورقية أمنا عائشة للنبي ﷺ: "بِسْمِ اللّهِ أَرْقِيكَ مِنْ داءٍ يُؤْذِيكَ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ هَامَّةٍ وعَيْنٍ لامَّةٍ"، وعلى كلّ طرفك مبتدأ، وسهمك خبر؛ فتعرّف الجزءان بالإضافة، إلا أنّ قوله بعد وهواك حرفك بعين الاحتمال الأول.

والمعنى أنّ هوى النّفس حربٌ، والطّرف سهامه التي يرمي بها، ما أحسنه من منزع لطيف، ودقّة معنىً شريف. وقوله: "الطّائر ينزل والعاقل يذهل"، يحتمل أن يكون مستأنفاً على حذف العاطف أي: الطّائر، لا بدّ له من نزول، والعاقل عن الأشياء لا بد أن يعتريه ذهول. "كَفَى الْمَرْءَ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُه".

ويحتمل أنه من تمام ما قبله، والمعنى أنّ الهوى حربٌ شديد والطرفُ سهمٌ، أي: أنه نبلٌ عتيدٌ، حتّى إنّ الطّائر ينزل لوطيها، والعاقل أي: الشجاع الجلد يذهل لحسيسها، ونزول الطّائر لطمعه في أكل القتلى، قال أبو الطّيب المتنبي ما نصّه:

وقد خلقت أعلام عقبانه ضحى بعقبان طير في الدماء نواهل
أضحى مع الرايات حتا كأنها من الجيش إلا أنها لم تقاتل

والضمير في عقبانه يرجع لسيف الدولة بن حمدان ملك حلب، ويحتمل أنّ قوله طِرفك بكسر الطّاء، وهو الفرس الجيد، ويكون قوله

(1) سورة القلم، الآية: 51.

(2) سورة يوسف، الآية: 67.

سهمك من التشبيه البليغ، بحذف الأداة، أي: أنّ فرسك يعنيك كما يعنيك سهمك، وهواك حربك، أي: يحاربك وهو الملائم لقول البوصيري: "وَخَالِفِ النَّفْسَ والشَّيْطَانَ واعْصِهِما"، أي: هوى النّفس إلى قوله: فأنت/ 37/ تعرف كيد الحكم الخصم، والحكم فجعلهما خصيمك، والخصم يطلق عليه محارب كما في الخصائص، ويكون قوله: الطّائر ينزل والعاقل يذهل، وصف لشدة حرب النّفس، وبالجملة فهذا الفصل فيه تعقيد صعب.

المثل: "طاقت سهام هوازن"، هذا مثلٌ يضرب لمن لا يؤثر فعله، وهوازن اسم لعدة قبائل من مضر وهم: بنو سعد بكر، وبنو جشم، وبنو هلال، وبنو نضر، وبنو كلاب وهم الذين حاربوا رسول الله ﷺ يوم حُنَيْنٍ، وكان ثقيف من جملتهم آن ذاك.

وأصل المثل أنّ رئيسهم جعفر الكلابي كان عند كسرى أنوشروان؛ فجهَّز سلعة لتباع في أرض العرب، وقال من يُجيرها فأجارها الهوازني، فقال له كسرى حتّى من كنانة، فقال: نعم. وكان العرباض الكناني حاضرًا، فأنف فأتى كنانة وقريش من جملتهم، فأخبرهم فقتل الهوازني وأخذ العير، فاشتعلت الحرب بين هوازن وكنانة، ورؤساء قريش إذ ذاك حرب ابن أمية، وعبد الله بن جدعان، فدامت الحرب خمس سنين، وهي المسمّاة حرب الفُجَار.

قال ابن عبد ربّه لأنهم يتحاربون في الأشهر الحرم ففجروا، وفيها قتل العوّام بن أسد بن عبد العزّى بن قصي، وكان في تلك الحروب يوم عظيم على كنانة، تولى كبره بنو مخزوم، فقتل منهم ثمانية، وسن رسول الله ﷺ يومئذ أربع عشرة سنة، وكان يناول قومه النبل، فقيل يا رسول الله لمن تحب الغَلَب، قال: لقومي. وليس هذا المثل في حرب حُنَيْن بل في حرب الفُجَار.

حرف الظاء

[ظَنُّكَ مَا فِيكَ، وَنِيَّتُكَ تَكْفِيكَ، الظُّلمُ فِي النَّادِرِ يَزُولُ وَالحَسَدُ فِي الغَالِبِ يَطُولُ]

حرف الظّاء أي المشالة: ظَنُّكَ مَا فِيكَ، وَنِيَّتُكَ تَكْفِيكَ، الظُّلمُ فِي النَّادِرِ يَزُولُ وَالحَسَدُ فِي الغَالِبِ يَطُولُ. الظّن استواءُ الطَّرفين، ترجيح أحد الطرفين. ومعنى كلام المصّر أنّ الذي تظنه في غيرك من خير أو شرّ جار على ما فيك، إنْ خيرًا فخير، وإنْ شرًا فشر، ولذا يُقال: كلُّ إناء يَرشَح بما فيه.

واعلم أنّ الفقهاء يحملون الناس على الجرحة حتى تثبت العدالة، والصوفية يحملونهم على العدالة حتّى/ 38/ تثبت الجرحة، ولكلٍّ مشد، انظره في محلِّه. والمطلوب ظنّ الخير، والمذموم خلاف ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾[1]، أيّ: لا تظنوا بأهل الخير سوء، إذا كنتم تعلمون من ظاهر أمرهم الخير، إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ لا كله، لأنّ من ظهرت عليه أمارات الشّر، قد لا يكون ظن الشرّ فيهِ إثمًا.

والأحوط اجتناب ذلك كلِّه، إذْ قد يلبس الولي على غيره بما يوقع في الوهم، خلاف المباح، كما وقع لكثير من الأولياء حُبًّا منهم في الخمول، وعدم الشهرة، كقصّة السّائح الذي سمع به ملك زمانه فجاء إليه؛ فلمّا علم به ذلك السّائح، استدعى بغلا، وجعل يأكله أكلا عنيفا بمرأى من الملك، فلمّا رآه على تلك الحال استصغره واستصغره وانصرف عنه.

(1) سورة الحجرات، الآية: 12.

وقد بالغ بعض الصوفية ﷺ في ذلك حتّى استعملوا أشياء منكرة في ظاهر الأمر الشرع، ورأوا ذلك جائزا لهم أن يفعلوه ويأمروا به، وذلك مثل قصّة الرجل الذي دخل الحمام، ولبس من فاخر ثياب النّاس تحت ثيابه، بحيث تظهر، ومشى بذلك متمهلاً، بحيث يرى ويظن به السّرقة؛ فلمّا رآه النّاس أخذوه وصفعوه، ونزعوا الثياب عنه، واشتهر عندهم بالسّرقة حتّى كان يعرف بلصِّ الحمام. وحذفه بالخمول، وظلّ غيره المتكلم فيه الظّان فيه ظن السوء.

قال الإمام أبو حامد الغزالي ﷺ: "وإذا جاز لمن غصَّ بلقمة من طعام حلال أن يسيغها بجرعة من الخمر، إذا لم يجد غيره، مع أنّ تحريمه مقطوع به، ولا يفوته إلّا حياة فانية، فالآن يجوز مثل هذا إذا تعين أولى، إذْ يفوته بذلك الحياة الباقية والقرب من الله تعالى" اهـ. وقد كان الناس يسخرون من أويس القرني ويستهزئون به ويؤذونه، ويرون فيه أهلية الخداع والتلصص وينسبونه إلى ذلك.

وقول المصّر: ونيتك تكفيك، أي نيتك وقصدك في غيرك تكفيك في / 39/ الجواب عنه، والحجّة له عليك. قال ﷺ: "**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**".

والمعنى أنّ نِيتَكَ تَكْفِيكَ شرًا أو خيرًا، فإن صَلُحَتْ صَلُحْتَ، وإلّا فلا، وهي ركنٌ من أركان الدِّين كما مرت الإشارة إليها من حديثه ﷺ. قال بعض الصوفية: لا تعاشر من النّاس إلّا من لا تزيد عنده بِبِّرٍ، ولا تنقص عنده بإثم، يكون ذلك لك وعليك، وأنت عنده سواء، وقال بعضهم: كُن معَ أبناء الدُّنيا بالأدب، ومع أبناء الآخرة بالعلم، ومع العارفين كيف شئت.

أُحِبُّ مِنَ الإِخْوانِ كُلَّ مُوَاتِي وَفِيَّ غَضِيض الطَّرْفِ عَن عَثَرَاتِي
يُوافِقُنِي فِي كُل أمرٍ أحبه ويحفظني حيًّا وبعد مماتي
فمن لي بهذا ليتني قد وجدته فقاسمته ما لي من الحسنات

قال أبو يزيد رضي الله عنه: ما دام العبد يظن أنّ في الخلق من هو شرٌّ منه، فهو متكبر، قيل له: فمتى يكون متواضعًا، قال: إذا لم ير لنفسه مقامًا ولا حالاً، وتواضع كل أحدٍ على قدر معرفته بنفسه وبربّه.

تنبيه: الأليق بمقام المصّر أن يراد بقوله في هذا الفصل مقام التواضع، إذْ من ظنَّ الخير بغيره فقد تواضع، وهو مقام رفيع تدور عليه جميع أحوال الكمالات فعليك به، ومن أغرب ما رأى فيه، ما ذكره كتاب عوارف المعارف كما في تنبيه ابن عبّاد على الحِكَمِ العَطَائية، قال: راتب شيخنا ضياء الدين أبا النجيب، وكنت معه في سَفره إلى الشام، وقد بعث بعض أبناء الدّنيا له طعامًا على رأس النّصارى من الأفرنج، وهم في قيودهم، فلمّا احتدّت السفرة، والنّصارى ينظرون الأواني حتّى تَفْرُغَ، قال للخادم: مُر الأسارى/ 40/ يقعدون على السفرة مع الفقراء؛ فجاء بهم وأقعدهم على السفرة صفًا واحدًا، وقام الشيخ من سجادته ومشى إليهم، وقعد بينهم كالواحد منهم، وأكل وأكلوا، وظهر لنا على وجهه، ما نزل بباطنه من التواضع لله تعالى، والانكسار في نفسه وانسلاخه من التكبر عليهم بإيمانه، وعلمه وعمله نفع الله به، اهـ.

وَأَغْرَبَ منه ما ذكره صاحب بغية الطالب ومنية الراغب أبو الحسن علي بن عتيق بن مومن القرطبي رحمه الله عن أبيه، أنه رأى الشيخ الفقيه أبا محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن معين، وكان من الفقهاء العلماء، فكان يومًا في يوم شاتي كثير الطّين؛ فاستقبله كلبٌ يمشي على الطريق التي كان عليها، فرأيته قد لصق بالحائط، وعمل للكلب طريقًا، ووقف ينتظره ليجوز، ويمشي هو فلمّا قَرُبَ منه الكلب، قال: رأيته قد ترك

مكانه الذي كان فيه، وزال أسفل وترك مكانه للكلب يمشي فوقه.

قال: فلمّا جازه الكلب وصلت إليه، فوجدته وعليه كآبة، فقلت له: يا سيدي إني رأيتك صنعت الآن شيئا استغربته كيف رميت بنفسك في الطّين، وتركت الكلب يمشي في الموضع النقي. فقال لي: بعد أن عملت له طريقًا تحتي تفكرت، وقلت: ترفعت على الكلب وجعلت نفسي أرفع منه؛ بل هو والله أرفع مني وأولى بالكرامة، لأنّي عصيت اللهَ، وأنا كثير الذنوب، والكلب لا ذنب له، فنزلت له عن موضعي وتركته يمشي عليه، وأنا أخاف المقت من الله عزّ وجلّ، إلّا أن يعفو عني، لأنّي رفعت نفسي على من هو خير مني، ﷺ ونفع به، اهـ.

واعلم أنّ التواضع ليس هو أن ترى نفسك رفيعًا فَتَحُطَّهَا، إذْ ذاك هو عين الكبر، وإنّما اجعل نفسك منحطّة منخفضة بالكلية، لم يتقدم لها ارتفاع أصلاً وكذلك لا يلحقها مال. قال في الحِكَم العطائية: ليس التواضع الذي إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع، ولكن التواضع الذي إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع، اهـ.

وقال قبل متصلاً به: من أثبت لنفسه تواضعا/ 41/ فهو المتكبر حقا، إذ ليس التواضع إلا عن رفعة، فمتى أثبتّ لنفسك تواضعًا فأنت المتكبر حقًا اهـ. وما أحسن قول الشاعر ما نصّه:

تواضع تكن كالبدر يبصره الورى على سطحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدّخان يبسط رأسه إلى عرصات الجوّ وهو وضيع

وقول المصّر: الظلم في النادر يزول، أي: أنّ الظلم وهو وضع الشيء في غير مَحِلِّهِ قد يزول من قلب فاعله على سبيل القلة والندور، ويتّصف بالعدل لأنه لا يدور مع المظلوم وجودا وعدما، بخلاف الحسد، وقد شوهد زواله كثيرًا من كثير، إلا أنّ قلّة زواله نسبية لا حقيقية، وهو من الكبائر الموبقات والعياذ بالله منه ومن كل سوء.

وفي الحديث: «**إنّ اللَّه لَيَنْتقم مِنْ ظَالِم بِظَالم**»، وفيه: «**إنَّ اللَّهَ لَيمهل عَلَى الظَّالم، حتَّى إِذا قَبَضه لَمْ يفلِته**». قال الشاعر ما نصّه:

تـأنـى ولا تـجـعـل لأمـر تـريـده وكـن راحـماً بـالـنـاس تـبـلـى بـراحـم
فـمـا مـن يـد إلا يـد الـلـه فـوقـهـا ومـا ظـالـم إلا سـيـبـلـى بـظـالـم

وقوله: "الحَسَدُ فِي الغَالِبِ يَطُولُ"، لا شكّ أنّ نفس الإنسان مائلة بالطبع لحبّ الرياسة والفخامة، وارتفاع الحظ والتعالي على الأقران، وأقران كل أحد إنمّا هم أهل زمانه وأيَّامهم، يفاخر وينافس، ولا يريد أن يرتفعوا عنه بدرجة، ولا أن يتميزوا عنه بفضيلة، وذلك يحمله على حسدهم، إن ظهر له فضل أو ادّعوْهُ، وحسده إليهم يحمله على عدم الاعتراف بما يدّعون وما به يمتازون، لأنّ غرض نفسه ومقتضى شهوته، إنمّا هو في بطلانه وكذبه، ولغلبة هذا الغرض على العقل يتصامم الحسود ويدافع الحقّ ويكابده، وهذا كان أصل كُفر كثير من قريش بنبيّنا محمد ﷺ، مع اعترافهم بالحقّ وعدم وجدانهم حجّة تعارض ما جاء به ﷺ. وقال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[1] / 42/.

وقد كان أبو جهل لعنه الله، وأبو سفيان بن حرب، والأخنس بن شريف قعدوا مستخفين يستمعون قراءة النّبي ﷺ ليالي في قصّة مشهورة، وأصبح الأخنس يومًا فذهب إلى أبي جهل، فقال له: ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال ماذا أسمع؟، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتّى إذا تحادينا على الركب وكنا كفَرَسَي رهان، قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السّماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدًا ولا نصدقه، فقام عنه الأخنس وتركه، وهذا صريح، فإنّ كفره إنّما كان حسدًا، ولا شكّ

(1) سورة الأنعام، الآية: 33.

بعلمك ما مرّ أنّ الحسد يستمر مع وجود المحسود، ويزول بموته أو زوال النعمة المحسود عليها.

هذا وأنّ الحسد بعضٌ من الظلم، فكلّ حسد ظلمٌ ولا عكس، وقد يثبت للخاص ما ليس للعام، كالناطقية للإنسان الذي هو بعض من الحيوان. ولذا فرّق المصّر بينهما بزوال الأول قليلاً، ودوام الثاني طويلا، ومن الشِّيَم السُّنية، والطبائع المرَضيّة، أن لا يُلام الحاسد، وليترك على ما هو عليه كمدا له، كما قال ولله دره:

إِنْ يَحْسِدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلِ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا
فَدَامَ لِي ولَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمُ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يحسدُ
أنا الَّذي يجدُونِي في صُدُورِهم[1] لا أَرْتَقِي صَعَداً عَنْهَا وَلَا أردُ

المثل: "ظلمة أظلم لنفسها"، ظلمة هذه إحدى نساء العرب في الإسلام، كان أبوها أدخلها المكتب[2] في حال صِبَاها للقراءة؛ فأكثرت من سرقة الأقلام والدواءات/ 43/ للصبيان، ولمّا كبرت زنت، ولما صارت لا إرب للرجال فيها. قادت ومثلها النصرانية الراهبة الديرانية، نزل عليها أبو الضحان الشاعر، فأكل معها لحم الخنزير، وشرب معها الخمر، وزنى بها، ولما أراد الشروع في السّفر سرق كأسها، ولما أسلم صار يضحك الصّحابة بذلك.

وقول بعضهم: إنّه جاهلي ليس بصحيح؛ بل من المخضرمين، لأنّ الصّحابة ﷺ يحبون المداعبة في بعض الأحيان. ألا ترى إلى خوات بن عوف الأنصاري أتى قبل إسلامه إلى خَوْلَة ذات النَّحْيَيْن بكسر النون، وهما جلدا السّمن الذائب، أتت بهما للبيع في سوق المدينة، فحل وكاد واحد، وقال: أمسكيه حتّى أرى الأرض، فأمسكته، ثم حلّ الآخر

(1) في الأصل: "حلوقهم".
(2) يقصد الكتاتيب القرآنية.

فأمسكته أيضًا، ثم إنّه وطئها، ولم ترسل النَّحْيَيْن وتدفعه نجلاً منها بسيل السّمن. فضربت العرب المثل بها، فقالوا: أثقل من ذات النَّحْيَيْن. ومثل النحاة بذلك في أفعل التفضيل، وهي جدة عُبَيد اللَّه بْن ظبيان قاتل مصعب بن الزبير، ولذا عُوِيرَ بذلك فقيل: لقد كان في ذكر عجوزك فاضح. ولمّا أسلم خوات قال الصّحابة لرسول الله ﷺ هذا صاحب خولة ذات النَّحْيَيْن فتبسم ﷺ. قال خوات ما نصّه:

وذات عيال واثقين بعقلها خلجت لها بأيدي اسْتِهَا خَلَجَاتِ
فكان لها الويلات من حفظ سمنها ورجعت صفراً من غير ثبات

وتقدم لنا في باب الألف أبخل من مادر انظر شرحه هناك.

حرف الكاف

[كَادَ النِّفَاقُ لِلْحَقِّ زُهَاق، الكَدُّ فِي الأَوَامِرِ أَمَانٌ فِي المَقَابِرِ]

أصل كاد إنّما تكون في الشيء الذي يشرف على فعله ولم يفعل، كما أنّ النفاق في زمان رسول الله ﷺ نجم وظهر وشاع كما قالت أمّنا عائشة حتّى كاد يمحو الإسلام، لولا نور النبوءة. وقد قام به من الخزرج/ 44/ عبد الله بن أبي بن سلول، ومن الأوس أبو عامر الرّاهب، ومن قريش الحَكَم بن العاص ولكل أتباع.

قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[1]، قال في الجلالين الحقّ الإسلام، والباطل الكفر، أي: الظاهر والباطن زهوقًا مضمحلاً زائلاً، اهـ. ببعض إدخال فيه، قال الشّهاب الخفاجي كانت العرب لا تعرف النفاق ولا لفظه، وإنما ولد من نافقات اليربوع، وهي بالمدّ على وزن فاعلاء إحدى جحرة الثلاث، لأنه يدخل من القاصعاء، فإذا أحسّ بالطلب خرج من النافقاء، فأخذت العرب من ذلك معنى النفاق، وكان رسول الله ﷺ يعرف المنافقين واحدًا واحدًا، ويغض طرفه عنهم، وقد قيل له يا رسول الله ألم تقتلهم؟ قال: لا، لئلّا يتحدث النّاس أنّ محمدًا يقتل أصحابه.

وكان عمر رضي الله عنه يختلي بحذيفة بن اليمان صاحب سرّ النبي ﷺ، وينشده الله هل قال لك رسول الله ﷺ فِيَّ شيئًا؟ فيقول: لا، لأنه ﷺ أخبر حذيفة بكل منافق.

(1) سورة الإسراء، الآية: 81.

تنبيه: قول الناظم: "كَادَ النِّفَاقُ للحقِّ زهاقٌ" ظاهر، وفي تعبيره بكاد لطافة ورقّة، حيث دلالتها على التقريب، أي: قرب أن يزهق النِّفاق الحقّ، لولا ما منّ الله علينا به من موت كابن أُبَي، وأبي عامر وأتباعهما، فإنهم قبل موتهم أزهقوا الحقّ، واضمحلوه وأبطلوه، إلّا أنّ ذلك لم يدم؛ بل انقطع بموت المنافقين على كفرهم. قال تعالى فيهم: ﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾[1].

قال أهل التفسير أي: كافرون، والحاصل أنّ المنافقين أزهقوا الإسلام فيما بينهم بالفعل، وقد خيّب الله سعيهما والحمد لله. ولولا تحريك المنافقين واليهود لقريش وإغراؤهم لما غزوا المدينة في قصّة أُحد والأحزاب، وما أرادوا بذلك إلّا قطع الإسلام ويأبى الله/ إلا 45/أن يتم نوره.

وقوله: "الكَدُّ فِي الأَوَامِرِ أمانٌ فِي المَقَابِرِ"، الكدُّ والكدح بمعنىً، وهما بمعنى الجهد والجدّ في العمل أي أنّ الجدّ في العمل في الأوامر الصالحات، وأصناف الطاعات، وأنواع القرابات أمان من المخافين البرزخ والآخرة. والمراد بالبرزخ هو مدة المكث في المقابر، فيأمن من عمل صالحاً من سؤال الملكين، ومن كل مخوف قوله أمانٌ في المقابر أي وما بعدها.

مكرمة: رأيت في بعض نسخ الميزان للشعراني أنّ ناصر الدين اللقاني شارح خطبة المختصر وجوهرة التوحيد وغيرهما، لما توفي وسط القرن العاشر رآه بعض الصالحين في المنام، وقال له: ما فعل الله بك؟ قال: أتاني الملكان وأجلساني وشرعا يسألاني، فقالا من ربك؟ وإذا بالإمام مالك أقبل، وقال لهما: مثله لا يُسأل، خلو عنه فذهبا، اهـ.

(1) سورة التوبة، الآية: 84.

فالعمل الصّالح صاحبه في القبر والنشر والحشر، يقال له نم نوم العروس، وقد وقع في قلعة بني راشد أنّ وليًا وأحسبه من تلامذة الشيخ أحمد بن يوسف الوامودي دفين مليانة، نفع الله به توفي بالقلعة المذكورة، ودفن بمقبرته المشهورة المسمّاة بالبُراق فأتاه الملكان، فقالا له: من ربك؟ فقال لهما: أنتما جئتما من السبع السماوات على بعد ما بينهما وما نسيتما الله تعالى، وأنا من داري إلى هنا ذهب عني، فذهبا وتركاه، هكذا تواترت هذه القصة. وفي الشيخ إبراهيم يأتونه حين يصر من دفنوه وإنه ليسمع قرع نعالهم، اهـ.

وقال الإمام الغزالي في الإحياء: " ولا يبعد أن يسأل قبل الدفن وهو قبر، وليس أهله ومثله بالنائم، يرى في الرؤيا الشرّ والخير، والأمن والخوف، والإزعاج والوجل والفتن، وهو بيننا نائم، ولا إطلاع لنا على ما هو فيه" اهـ بمعناه.

قلت: فلله درّه لقد كشف عن المسألة الغطاء، ومهّد لها/ 46/ وصلا، وقدرة الله، ولطفه أرقّ وأسْنَى. من ذلك كان قس بن ساعدة الإِيادي بكسر الهمزة من أهل القبرة، وكان له صاحبان يتعبّد معهما بروضة سمعان، فماتا فدفنهما وبقي في قبريهما، قال الشيخ الآبي: وتأتي الوحوش والسباع ترد من العين التي هناك فيقف عندها، ويورد الأول فالأول ثم يقبل عليهما ويقول ما نصّه:

خَلِيلَيَّ هبّا طَالَ قَدْ رَقَدْتُمَا ... وَمَالُكُمَا لَا تَقضِيانِ كَرَاكُما
أَرَى النَّومَ بَينَ العَظمِ وَالجِلْدِ مِنكُمَا ... كَأَنَّ الَّذي يِسقي المدام سَقَاكُمَا
أَلَم تَعلَما أَنّي بنجران مُفرَدٌ ... وَما لِيَ فيه مِن حبيب سِواكُما
مقيمٌ عَلى قَبرَيكُما لَستُ بارِحاً ... طَويلَ اللَّيالي أَو يُجيبَ صَداكُما

ولمّا توفي دفن معهما، وهو القائل أيضًا ما نصّه:

في الذَّاهبين الأَوَّلينَ من ... القُرونِ لَنَا بَصَائِرْ

أمـــا رأيْـــتَ مَـــوارداً لـــلـــمَـــوتِ انـــتـــهـــى لَـــهَـــا مَـــصـــادِرْ
رأيـــتُ قَـــوْمِـــي نَـــحْـــوَهَـــا يَـــمـــضـــي الأَكَـــابـــرُ وَالأَصَـــاغِـــرْ
لا يـــرجـــع الـــمـــاضـــي ولا يـــبـــقـــى مـــن الـــبـــاقـــيـــن غـــابـــرْ
فَـــأَيْـــقَـــنـــتُ أنِّـــي لَا مَـــحَـــا لَـــةَ حـــيْـــثُ صَـــارَ الـــقَـــومُ صَـــائـــرْ

المثل: "كَالَهُم كَيْلَ السَّنْدَرَة"، هو مثلٌ يضرب للشجاع المكثر للقتل لأعدائه، والسندرة قال في القاموس: اسم امرأة كانت تبيع القمح، وتُوفِّي في كَيْلِهِ، وذكر قبله احتمالاً آخرَ، ليس من غرضنا، ولذا قال علي رضي الله عنه في غزوة خيبر أو حنين ما نصّه:

أَنَـا الَّـذي سَـمَّـتْـنِـي أُمِّـي حَـيْـدَرَه أكِـيـلُـكُـمْ بـالـسَّـيْـفِ كَـيْـلَ الـسَّـنْـدَرَهْ

أُمُّهُ هي فاطمة بنتُ أَسَد بنُ هِشَام، هي أول هاشمية ولدت لهاشمي./ 47/

أعجوبة: خلفاء بني هاشم علويين أو عبّاسيين لم يكن فيهم خليفة[1] ابن هاشمية سوى ثلاثة: علي وابنه الحسن ومحمد الأمين ابن زبيدة؛ لأنّها بنت جعفر بن المنصور، وزوجها هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، ولم نعلم خليفة في الإسلام وَلِيَهَا في حياة أبيه سوى أبي بكر الصديق، تولى الخلافة في حياة أبيه أبي قحافة رضي الله عنهما، ثمّ إنه توفي وبقي أبوه حيًّا بعده.

"كُلْ ثَومًا لَا بَصَلاً"، هذا مثلٌ يُضرَبُ لمن ارتكب أدنى مع وجود

(1) سمعت شيخنا الفقيه المعقولي المؤرخ سيدي محمد بن عبد القادر الكردودي؛ أنها أي الخلافة لم تتفق لمن أبوه هاشميٌّ، ولم أسمع منه اتفقت لهؤلاء رضي الله عنهم. وانظر ابن بدرون على مرثية ابن عبدوس عند قول:
وَلَـيـتَـهـا إذ فَـدَت عَـمـراً بِـخـارِجَـةٍ فَدَت عَـلـيّـاً بِـمَـن شـاءَت مِـنَ الـبَـشَـرِ
قصة قتل مولانا علي اهـ. وعند قول المصّر: وفي ابن المصطفى حسن الخ، وعند قوله: قف وأخفرت في الأمين العهد قصصهم على الولاء إلخ كاتبه. إسماع الأصم، وظ: 48.

أعلى. وأصله أنّ كلثوماً العتابي الأديب المؤرخ المشهور دخل على المأمون، فوجد عنده إسحاق بن إبراهيم الموصلي المغني المشهور، فقال كلثوم للمأمون: يا أمير المأمون أتأذن لي في مكالمة هذا الرجل؟ فقال: نعم، فقال لإسحاق: من أنت؟ قال: من الناس، ثم قال له: وما اسمك؟ قال: كُلْ ثَومًا بَصَلاً، قال كلثوم: أمّا النسبة فمعروفة، وأمّا الاسم فمنكر، قال له: إسحاق ما أقلّ إنصافك، البصل أطيبُ من الثوم، وأردت أنت كُلْ ثومًا لا بصلا، فضحك المأمون وتعجب من ذكاء اسحاق وأدبه، وذلك أنّ كُلثومًا بضم الكاف فؤكل، وثوم بضّم الثاء المثلثة، فصار اسم هذا الأديب، كُلْ ثومًا، ما أحسن هذا الأدب وما ألطفه من إسحاق؛ لأنّ كلثومًا على أدبه ومسامرته للخلفاء لم يتنبّه لتعريف اسمه، ونَظِيرهُ أنّ أبا عمر بن العلاء أحد القرّاء السّبعة، قال لمعاصره في روبة بن الحجاج: ما الربوة؟ فلم يعرفها، قال: بل روبة بليغ العصر وفصيحه، لم يعرف معنى اسمه، فَسُئِلَ فكان كذلك، فقال أبو عمر: الروبة هي التي يشعب بها الإناء وغيره، اهـ.

نظيرهُ قول عبد الملك بن مروان للشّعبي، لما قال ابن الزبير ذو علم عظيم، لم يعرف مهب الأرياح، قال الشّعبي: فاستغربت أنّ ابن الزبير لا يعرف مهبَّ الريح، قال: فقال لي عبد الملك: وأنت لا تعرف مهبَّ الريح أيضًا؟ قال: ففكرتُ/ 48/ فوجدت أني لا أعرفه، فصَّل لي ذلك فأتم بيان وأوضحه.

حرف اللام

[لَوْمُكَ لِلسَّفَلَة كَالحَرْثِ فِي السَّبْخَة، اللَّوْمُ لِلْأَحْرَارِ كَالنَّقْشِ فِي الحِجَارِ]

اللَّوْمُ معروفٌ، والسَّفَلَة رِعَاع النّاس وأوغادهم وهم الصِّقام، ومعنى كالحرث في السبخة، أي: أنه لا ينتج شيئًا، ولا ينبت زرعًا، ولكن كما أنّ اللوم للسّفلة لا يفيد شيئًا، وأمّا اللوم للأحرار، فهو كالنقش في الأحجار في أنه يؤثر فيهم، كما يؤثر النقش في الحجر، ويثبت في قلوبهم، فلا يضيعونه كما يثبت نقش الحجر، بحيث لا يضمحل ولا يُمحَى أبدًا. قال أبو بكر محمد بن دريد في مقصورته:

اللَّـومُ لِـلـحُـرِّ مُـقـيـمٌ رادِعٌ وَالـعَـبـدُ لا تَـردَعُـهُ إِلّا الـعَـصـا

لطيفة: ركض مسلمة بن عبد الملك فرسه في طرد ضبي، فأبعد عن أصحابه، وإذا الوعاء عنده نساء يسقين، فخلع اللجام للفرس فتخطا للماء، فوطأ قربة فقطعها، فقالت له امرأة: ما أقبحك؟ ولم تعرفه، فكشف عن بدنه وأَرَاهُنَّ جراحات كثيرة أصابته في الحروب، التي منها حربه مع يزيد بن المهلّب، وحربه مع زيد بن علي وغيرهما. وقال لهنَّ: لولا خشية اللّوم من النّاس، ما أصابني جرح قطّ. وما حملني على ما تَرَيْنَ إلّا الحياء، وخشية اللّوم، وإذا بأصحابه اهرعوا عليه، وعرفه النساء وخفنه، فقال: لا بأس عليكنّ، ولامت سوداء الحجونية معاوية رضي الله عنه فقال: بريئة بعدما أعطاها مائة ناقة:

إذا لـم أعـد بـالـحـلـم مـنـي إلـيـكـم فـمـن ذا الـذي يـعـود بـعـدي بـالـحـلـم
خُـذِيَـهـا هَـنِـيـئًـا واذْكُـرِي فِـعْـلَ مـاجـدٍ يُـجـازي عَـلـى حَـرب الـعَـداوة بـالـسـلـم

وكان الحجاج بن يوسف الثقفي أقل وفد على الوليد بن عبد الملك الجبّار، تقول له زوجته أم البنين بنت عبد العزيز أخت عمر بن عبد العزيز، ادع لي ابن الفارعة / 49/ الفاعلة يا ابن المتمنية، يا كلب ثقيف، أما تتقي الله، أما ترفق بعباد الله، تحبسهم وتقتلهم، وتسفك دماءهم بغير حقّ. وهو على بلاغته وحدّ لسانه وجرأته، كأنّه أخرص بين يديها رحمها الله تعالى، ومرّت السيدة سكينة بنت الحسين، وهي على بغلتها وخلفها جواريها على عروة بن أدنية، وكان من النسّاك، فقالت له أنت القائل: وأحمل من ثقل الهواء جبالها. هذه الجواري أحرار إن خرج هذا من قلب سليم من العشق، كانت ذات لسان لا يقاوم.

المثل: "لأَمرٍ مَا جر جَذعَ قُصيْر أَنفَهُ"، هذا مثلٌ قالته العرب لمن فعل بنفسه سوءًا ليتوصل لغرض، وقصير هذا وزير جذيمة الأبرش، وهو من دواهي العرب، وليس قصيرا في قامته؛ بل ذاك اسمه وعَلَمُهُ. وبذلك أنّ الزباء لما قتلت جذيمة، قال قصير لعمر بن عدي بن أخت جذيمة، وهي رقاش: ما الرأي في الزباء؟ فقال عمر: لا رأي، لأنها أمنع من عقبان الجوّ، فذهبت مثلاً أيضًا، فقال له قصير: اضرب باطنهم واجذع أنفي ودعني، ففعل به ذلك، فلمّا رآه العرب قالوا: لأمر ما جذع قصير أنفه، فذهب للزباء، وقد كانت تعرفه وزيرا فأنكرته، فقال لها: يا سيدتي إن عمرا أوجعني ضربًا وجذع أنفي قائلاً لي: أنت سَبَبُ قتل الزباء خالي، فقربته وجعلته من خواصّها، صار يجلب لها البضائع الرفيعة، تظنها تجارة، وإنما هي من عند عمرو، حتّى أتى بالرجال في الصناديق على الجمال؛ فقتلها عمرو كما مرّ في حرف الفاء. ويأتي في العين. لدوا للموت فهي موعظة.

ومن المثل أيضًا: "لَا يُطَاعُ لِقُصَيْرٍ رَأَيٌ"، وذلك أنّ جذيمة لما بعثت له الزباء للتزويج أتى بقومه، فقال له قصير: إن هم يلقوك وأحدقوا

بك، فذلك الغدر، ولا تملك الزباء لنفسك، لأنّ لها عندك دمَ أبيها / 50/ فعصاه، فقال: لا يُطاع لقصير رأي. ومنه قول علي رضي الله عنه: لا رأي لمن لا يطاع، وذلك أنه لما ظهر له الغاب في حرب صفين، حتّى أنّ معاوية وضع رجله في غرز ركابه ليفرّ، فأشار عليه عمرو بن العاص رضي الله عن الجميع، برفع المصاحف فخشع لذلك أكثر أصحاب علي، وقال هو: هي خديعة من أهل الشام، وكانت خمسمائة مصحف، فقال الأشعث بن قيس: القوم رافعون المصاحف، ويقولون كتاب الله يحكم بيننا وبينكم لابد نحسبهم، فقال رضي الله عنه: "هي كلمة حقّ أريد بها باطل فأبوا"، فتحدث أهل الشام بعد الهدنة بأنّ عليًا شجاعٌ عظيمٌ لا طاقة لأحد على حربه، إلا أنّه لا رأي له، فلمّا بلغه ذلك قال: لا رأي لمن لا يطاع، فذهبت مثلاً، ولمّا ظهر ما قال، رجع له أصحابه، فقال ما نصّه:

أَمَرتُهُمْ أَمري بِمُنعَرَجِ اللِّوى فَلَم يتبيَّن الرّشد إِلّا ضُحَى الغَدِ

وأمّا لوم سعدى محى هجوها فقد تقدم.

حرف الميم

[مِيزَانُ العَقْلِ[1] يُرجِّحُ العَدْل، المَيْلُ لِلأُمُورِ بِالكُلِّيَّة جُورٌ]

لا شكّ أنّ العقل من زين الإنسان، وفي الحديث "**أنّه لمَّا خَلَقه اللَّهُ قَالَ لَه: أَقْبل فَأَقبل، ثُمَّ قَال لَه: أَدْبِر فَأَدبر، فَقَال لَه: وَعِزَّتي وَجَلالي لَا وضَعْتك إِلَّا فِيمَن أُحبّ**"، والأكثر على أنّه في القلب، وقيل في الدماغ، فإذا ضربه لرأسه، فأزال عقله على المشهور، عليه ديةٌ للعقل مع عوض ضربة الرأس قودا وإرثا، وعلى القول الآخر تلزمه الدّية للعقل فقط، قال الشيخ خليل في المختصر: "وتعددت الدّية بتعددها إلّا المنفعة بمحلّها".

قوله: " مِيزَانُ العَقْلِ يُرجِّحُ العَدْل "، لا شكّ أنّ العقل إذا وزن عدلا مع ضدّه أنّه/ 51/ يرجّح العدل، لأنّه إذا رجح ضدّه؛ فليس بعاقل لقول الحكماء ولِمَ سُمِّيَ عقلاً، لأنه يعقل صاحبه من القبائح والسّفه، وسمّاه الله حجرًا قال: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾[3]، وقوله: ﴿يَفْقَهُونَ بِهَا﴾[4]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[5].

فائدة: قال العلامة ابن خلّكان في كتابه وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: " من أراد العقل فليطالع كتب الجاحظ " اهـ. وهو نظير ما

(1) كلام المصّر إشارة إلى مذهب السنية، من أنّ العقل ليس كما في الحسن والقبح، وإنمّا الحاكم في ذلك الشرع والعقل تابع، خلافا للمعتزلة فإنهم حكموه، قال في جمع الجوامع، وحكمت المعتزلة. من كاتبه عفا الله عنه آمين. إسماع الأصم، وو: 51.

(2) سورة الفجر، الآية: 5.

(3) سورة الحج، الآية: 46.

(4) سورة الأعراف، الآية: 179.

(5) سورة الزمر، الآية: 21.

يحكى عن عمر رضي الله عنه أنه قال: " من أراد همّة النّفس والنزاهة العالية؛ فليقرأ لامية الشنفرى" . اهـ. أيّ وهي التي يقال لها لامية العرب، ناظمها جاهلي. وأمّا لامية العجم فناظمها الطغرائي من علماء الإسلام، كان متقلد الوزارة لملوك السلجوقيين.

قول المصّر: "المَيْلُ لِلْأُمُورِ بِالكُلِّيَّة جُورٌ"، قال تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[1]، وقال: ﴿فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾[2]، وقال الحكماء: " خير الأمور أوسطها"، وكان رسول الله ﷺ إذا خُيِّر بين شيئين اختار أيسرهما.

ومن العدل أنّ سيّدنا محمد بن الحنفية أعطاه أبوه علي رضي الله عنهما درعًا قاتل بها في حروب صفين، ثمّ إنّها سُرقَت، فلمّا رجعوا إلى الكوفة عرفها أمير المؤمنين علي عند يهودي، فقال اليهودي: يا أمير المؤمنين إن شئت خذها، وإن شئت حاكمني، قال: بل المحاكمة، وكان قاضيه إذ ذاك شريح المشهور، فذهب له هو واليهودي، فلمّا دخل علي واليهودي لدار الحكومة قام القاضي شريح لعلي، ومال له بالكلام، فقال له: " هذا أول جورك، وخرج من عنده".

وكان محمد بن بشير قاضي قرطبة، كان قرأ على الإمام مالك، ثمّ رجع للأندلس، فولّاه هشام بن عبد الرحمن الدّاخل القضاء، وكان يُضرَب/ 52/ به المثل في العدل فحكم على وزير هشام، ولم يسمّ له الشهود الذين حكم بهم، فقال الوزير: هضمني القاضي، فقال له: اسكت، القاضي عدلٌ عظيمٌ لا يميل لأحد، ولا يخاف في الله لومة لائم. وهذا هو أبو عبد الله محمد بن بشير المتقدم.

أمّا أبو بكر الطّاهر بن بشير تلميذ المازري، فهو متأخر توفي وسط

(1) سورة الفرقان، الآية: 67.

(2) سورة النساء، الآية: 129.

القرن السادس، وهو الذي نقل عنه أبو عبد الله المواق الخلاف في مسألة الملح، وكان سالم بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه لمّا عزل عن قضاء البصرة، أصابه غمٌّ فقيل له: "أيُّ شيءٍ تحزن عليه، قال: حزنت لها ولاءً يعني أصحابه، فقيل له: أظنّك أنّك كنت تميل لهم وتؤثرهم على الغير، قال: نعم. قالوا: ولِمَ ذلك وأنت ابن صاحب رسول الله ﷺ؟ فقال: الصديق لا يكون صديقًا حتّى تقطع له قطعة من عرضك، وقطعة من مالك، وأخرى من دينك، وإلّا فلا يكون ودّه خالصًا لك". اهـ.

المثل: " مَا ذُلَّ مَنْ جَرَتْ بِهِ العَصَا"، وأصله أنّ جذيمة المتقدم لما قرب من مدينة الزّباء لقيته أهل دولتها، فقال له وزيره قصير: " إذا هم أتوك مجموعين فلا بأس، وإذا انقسموا صفين ففيهم شرٌّ وغدرٌ فأعرض عليك العصا، وهي فرسٌ لَا يشقُّ غُبارها"، فلمّا أتوه صفين أعرضها عليه فلم يركب، وقال: يتحدث الناس أنّي فررت وأنا ملكٌ فركبها قصير، ولمّا رآهم قبضوا عليه، ركض فرآه جذيمة، فقال: مَا ذُلَّ مَنْ جَرَتْ بِهِ العَصَا، فصار مثلاً سائرًا عند العرب.

"ما يُظَلَّل لحم الأَثَلاثِ" هذا مثلٌ سائرٌ، إلّا أنّ في كتاب الشيخ الحسن اليوسي" لكن بالأثلاث لحم لم يظلل"، وذلك أنّ بيهس وإخوته لقيهم قومٌ فقتلوا إخوته وأبقوه لصغره، ثمّ إنّهم اقتنصوا صيودًا، ولمّا أحرقتهم الشمس أووا إلى ظل وتركوا اللحم للحرّ، فقال أحدهم: "ظللوا لحمكم"، فقال/ 53/ بيهس[1]: " لكن بالأثلاث لحم لم يظلل"، والأثلاث هو الموضع الذي قتلوا فيه، فقال أحدهم: اقتلوا هذا الغلام،

(1) بيهس بن صهيب بن عامر، أبو المقدام الجرمي، من قضاعة: (فارس حكيم من شعراء الدولة الأموية. كان يتنقل في البادية بنواحي الشام مع قبائل (جرم) و(كلب) و(عذرة). وقاتل مع المهلب بن أبي صفرة في حروبه للأزارقة). خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، ص: 81.

لِئلّا يأتينا منه شرٌّ، فقالوا: لا لأنه صغير، فذهب إلى أمّه وكان عاقًا لها، فقال: قوم قتلوا إخوتي، فقالت: ليت لو قتلوك وأبقوهم، فقال لها: لو خَيَّرَكِ القوم لاخترت، فذهبت مثلاً أيضًا.

ثمّ إنّ بيهسًا لمّا شبّ، جعل همّته وشغله في رصد أولئك القوم، حتّى أُخبِر أنّهم في مغارة يستظلون في الكهف الفلاني، فشمّر وأخذ سيفه، وذهب إلى خاله اسمه أبو حنش له ولع بالصّيد، فقال له: خذ سيفك وإيت بكلابك لصيود واتبعني، فذهب معه فلمّا أتيا بفم المغارة، جرّد بيهس سيفه وحمل عليهم، وقال لخاله: تقدم لا مكان تفرّ له، فلم يجد أبو حنش للفرار بُدًّا، فما وسعه إلّا صَلُوتَ سَيْفِهِ وتقدم للقتال، فقتلاهم جميعًا.

وكان أبو حنش هذا معروفًا بالجبن، فصار كل من لقيه من العرب يقول له: ما أشجعك يا أبا حنش، فيقول: " مُكْرَهٌ أَخَاكَ لَا بَطَلْ" ؛ فصار هذا مثلاً سائرًا عند العرب، ولا سيما أهل النحو، فجلبوا منه فائدة وإعرابًا. وأصل بيهس من أسماء الأسد، وضربت العرب المثل بثأر قصير وبيهس. فقال شاعرهم ما نصّه:

وَمَنْ مُدركِ الأَوتَار مَا جَذَّ أَنفُهُ قُصَيرٌ وخَاضِ الموتَ بِالسَّيفِ بَيْهَسُ

وكلاهما من الجاهلية، ولذا لمّا قال عمرو بن العاص لمعاوية رضي الله عنهما في حروب صفين: أنت حملت النّاس على حرب عليّ بن أبي طالب، ولا قبل لهم به، ما تبارزه إلا أنت، فضحك معاوية وقال له: عزمت عليك بالله أن تبارزه إلّا أنت، فلمّا لم يجد عمرو بُدًّا تقلّد سيفه وخرج لمبارزة علي رضي الله عنه بين صَفَّي القتال، فلمّا قرب علي قال له: يا عمرو أنت تبارزني وتقاومني، فقال له عمرو: مكره أخاك لا بطل، متمثلاً بمثل أبي حنش/ 54/ فتبسّم علي وأعرض عنه كرمًا وجودًا وحلمًا منه رضي الله عن الجميع.

حرف النون

[نَارُ الشَّوْقِ، نُورُ الذَّوْقِ، النَّارُ جَنّةُ طَوْعِ الأَحِبَّةِ]

اعلم أنّ الشّوق إذا اشتدّ، إمّا من عاشق كالعذري لمحبوبه أو من صوفي لحضرة القدس، فيكون ذلك بين جوانحه يتلهب كالنّار، فهو النور الذي يقال له في اصطلاح السادات الصوفية الذوق. ومن العجب أنهم قالوا لا يعرف إلّا بالإدراك، ولا يمكن وصفه ومثّلوا ذلك بلذّة الجماع والعطاس فقول المصّر: " نورُ الذَّوقِ" الإضافة بيانية أي النّور الذي هو الذّوق.

واعلم أنّ عمدة الشيخ أحمد زروق في الطريق أبو العباس الحضرمي، وشيخ الحضرمي محمد بن قاسم المكّي التونسي، وكان يدعو له بالتوفيق والإعانة ممّا شكاه ونصّه: " رزقك الله حلاوة الذوق، وجعلك من أهل الاشتياق والشّوق" إلخ ما كتب له. قال المقرّي: " نقله عن حفيده أحمد في نفح الطيب أنّ الغزالي قال في الحلّاج الذي ألهبت نار الشّوق ونور الذّوق في جوانحه، حتّى قال ما قال، إنّه شرب كأس الصّفا في بساط الوفا؛ فسكر بعربد مجده شهادة، وأنشدوا:

فَمَنْ شَهِدَ الحَقِيقَةَ فَليَصُنْهَا ... وَإِلَّا سَوْفَ يُقتَلُ بِالسِّنَانِ
كَحَلَّاجِ المَحَبَّة إذْ تَبدَّت ... لهُ شَمْسُ الحَقِيقَةِ بِالتَّدَانِي

وقال أبو الفتوح يحيى بن حبَش المقتول بحلب سنة سبع وثمانين وخمسمائة لاتهامه بانحلال العقيدة في قصيدة ذكرها ابن خلّكان أوّلها:

أبَدًا تَحِنُّ إِلَيْكُم الأَرْواحُ ... وَوِصَالُكُم رَيحَانُهَا وَالمرَّاحُ
لَا ذَنْبَ لِلعُشَّاقِ إِنْ غَلَبَ الهَوَى ... كِتمَانَهُم فَنمَى الغَرامُ وَبَاحُوا

وَأرحِمَةٌ لِلعَاشقِينَ تَحْمِلُوا ثِقَلَ المَحَبَّةِ وَالهَوَى فَضَّاحُ/ 55/
بِالسِّرِّ إن بَاحُوا تُبَاحُ دِمَاؤُهُم وَكَذَا دِمَاءُ البَائِحِينَ تُبَاحُ

وأنشد المقدسي الصّوفي في حلِّ الرموز لأبي منصور حسين الحلّاج في هذا المعنى ما نصّه:

أباحت دمي إذ باح قلبي بحبّها وحلّ لها في شرعها ما استحلّت
وما كنت ممّن يظهر العشق إنّما عروس هواها في فؤادي تجلّت
فشاهدتها فاستغرقتني بسكرة فغبت بها عن كلّ كلي وجملتي
وحلّت محلّ الكلّ مني بكلّها فإياي إياها إذا ما تبدّت
تاهت على سري فكانت هي التي عليها بها بين البريّة تمّت
أنا الحقّ في عشقي كما أنّ سيدي هو الحق في حسن بغير معيّة
فإن أك في سكري شطحت فإنني حكمت بتمزيق الفؤاد المشتت
ولا غرو إن أصليت نار تحرّقي فنار الهوىٰ للعاشقين أعدّت
ومن عجب أن الذين أحبّهم وقد غلّلوا أيدي الهوا بأعنّة
سقوني وقالوا لا تغنّ ولو سقوا حيال حُنين ما سقوني لغنّت[1]

وقال الشيخ أبو مدين نفع الله به آمين ما نصّه:

فَلَا تَلُمِ السَّكْرَانَ فِي حَالِ سُكْرِهِ فَقَدْ رُفِعَ التَّكْلِيفُ في سُكْرِنَا عَنَّا

وقال الششتري في قصيدته النونية عن الحلّاج ما نصّه:

وذوَّق للحلَّاج طُعْمَ اتِّحادِه فَقَالَ أنَا مَن لَا يُحيطُ بهِ مَعْنا
فِقيلَ لَهُ ارجَعْ عَن مَقَالِك قَالَ لَا شَربْتُ مُداماً كُلَّ مَن ذَاقَهَا غَنا

وقد انطبقت حقيقة الحلّاج لهذا العشق والذّوق، فلم يقدر على أشعاره بالغير، فكان خطؤه في العبارة حالا في الحقيقة، لأنّ له أكبر قدم في الحقيقة/ 56/ حسبما دلّت عليه الرسالة القشيرية في بيان اعتقاد هذه الطائفة، وباب التوكّل، وباب الحرية، وباب الفراسة وغيرها.

(1) الحسن اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، ص: 140.

قلت: ولذا قال الشيخ عبد القادر الجيلاني: " لو كنت حاضرًا للحلّاج لأخذت بيده".

واعلم أن المصّر كثيرا ما يلوّح في هذه الرسالة لطريق القوم، نفعنا الله وإياه بمحبّتهم. قال العارف بالله ابن عبّاد في أول تنبيهه على الحكم العطائية ما نصّه:

لي سادةٌ منْ عزِّهمْ أقدامُهمْ فوقَ الجِباه
إنْ لمْ أكُنْ منهمْ فَلي في ذكرهمْ عزٌّ وَجاه

كيف وقد قال العلماء تنزل الرحمة عند ذكر الأولياء ﷺ، قال ديك الجنّ[1] الشاعر ما نصّه:

الشَّوْقُ نَارٌ تَأَجُّ فِي جَوانِحِنَا وَذَوْقُهُ لِلعَارِفِينَ تَخْيِيلُ

وقال ابن عطاء الله في الحِكَم: "أنار الظواهر بأنوار آثاره، وأنار السّرائر بأنوار أوصافه، لأجل ذلك أفلت أنوار الظواهر، ولم تأفل أنوار القلوب والسرائر"، ولذا قيل ما نصّه:

شَمْسُ النَّهَارِ تَغْرُبُ بِاللَّيْلِ وَشَمْسُ الْقُلُوْبِ لَيْسَتْ تَغِيْبُ

فإذا تكاثف النور على نار الشوق حصل للموفق الذوق.

وقول المصّر: "النّارُ جَنَّةُ طَوْعِ الأَحِبَّة"، أي أنّ طوع الأحبّة يصيّر النار المحرقة جنّة نعيم، كما قال الرشيد لجاريته ما نصّه:

ألم تعلمي بأني إليك رق وأنّ الناس كلهم عبيدي
فإن أجبت قطع أوصالي قلت من الرضا إن كان ذاك زيدي

---

(1) ديك الجنّ (161-235هـ/ 778-850م): عبد السلام بن زغبان بن عبد السلام بن حبيب الكلبي، المعروف بديك الجن: شاعر مجيد، فيه مجون، من شعراء العصر العباسي. سمي بديك الجن لأن عينيه كانتا خضراوين. أصله من سلمية (قرب حماة) ومولده ووفاته بحمص (في سورية) لم يفارق بلاد الشام، ولم ينتجع بشعره. له " ديوان شعر ". خير الدين الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 5. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص: 293.

وقال غيره:

سخطك أميم مع الميم ولرضاك أصلي في الجحيم

وقالوا: "إنّ المحبّ إلى الحبيب مطيع"، ولو شرطت بثينة/ 57/ على جميل بن معمر العذري أو ليلي على توبة بن الأحمير، أو عزة على كثير، أو مريرة على الأعشى، أو مية على غيلان أن يلقي نفسه في النّار لأطاع أمرها. وقد أمّر رسول الله ﷺ عمرو بن العاص رضي الله عنه على سرية فقال: أوقدوا نارًا فأوقدوها، فقال: ألقوا أنفسكم فيها، فأبوا وقالوا: إنّ إسلامنا وجهادنا ليقينا ربّنا النّار، فكيف نحرق أنفسنا فيها، فقال: إنّ المحبّ لمحبّه مطيع، فقالوا إنمّا ذلك على سبيل الفرض، ولمّا أتوا رسول ﷺ؛ فأخبروه، فقال: "**لَا طَاعَة لِمَخْلوق فِي مَعْصِية الخَالِق**".

المثل: "نم نميمة الزجاج"، والمعنى أنّ هذا مثلٌ يضرب لمن لا يخفي شيئًا، ولذا تسمّى الأدباء كالحريري في المقامات، الزجاج بالنمام. وقد قال الشيخ عبد القادر نفعنا الله به لتلامذته: إني أراكم كالزجاج نقله الشيخ اليوسي في شرح الكبرى.

وأمّا قولهم: " نَفْسُ عِصامٍ سَوَّدَتْ عِصاما، وَعَلَّمَتْه الكَرَّ والإقْدامَا، وصَيَّرَتْه مَلِكاً هُماما "[1]؛ فهوَ مثلٌ يضرب لمن اتّصف بأمر محمود من كرم أو شجاعة أو علم أو غير ذلك، ولم يكن ذلك في آبائه. وفي الشريشي أنّ الحجّاج بن يوسف إذا أتى إليه رجل يطلب ولاية أو نحوها فيقول له: أنت عصامي أو عظامي، أي أن هذا الأمر كان في آبائك وهو المراد بالعظامي، أو ابتكرت به أنت فقط، وهو المراد بالعصامي، لأنّ عصاماً هذا لم يرث الخصال المجموعة فيه من شجاعة وكرم وغيرهما

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج6، ص: 333.

عن آبائه، كما قال أبو دلامة[1] لما قال له روح بن حاتم المهلبي تبارز هذا الرومي، ما نصّه:

بني المهلّب حبُّ الموت أورثكم ولم أرث أنا حبّ الموت من أحد

وأمّا قول رسول الله ﷺ لعمّه العباس رضي الله عنه لمّا/ 58/ سأله ولاية: "**يَا عَمّي نَفسٌ تحِييهَا خَيرٌ مِنْ ولَايَة لَا تُحْصيها**"، فهي موعظة وحكم لا مثل، لأنّ الأمثال لا يقتصر فيها على مورودها، ألا ترى أنّك تقول لمن أراد أمرًا وفاته تداركه الصّيف ضيّعتِ اللبن بكسر التاء، وإن قيل لرجل وإن كان مورده لامرأة وهي دخشوش كما يأتي، وكذا حبذا يقال بإفراد ذا مطلقًا، لأنّه بها يضاهي المثل كما قال ابن مالك فتقول: "حبّذا زيد وحبّذا الزيدان وحبّذا الزيدون إلخ" اهـ.

(1) أبو دلامة: شاعر من أهل الظَّرف والدعابة، أسود اللون، جسيم وسيم، كان أبوه عبدا لرجل من بني أسد وأعتقه. نشأ في الكوفة واتصل بالخلفاء من بني العباس، فكانوا يستلطفونه ويغدقون عليه صلاتهم، وله في بعضهم مدائح. وكان يتهم بالزندقة لتهتكه، وأخباره كثيرة متفرقة. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج3، ص: 50. ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص: 190.

[صَدْرُ الحُرِّ مَعْدَنُ السِّرِ، الصَّدْرُ صُنْدُوقٌ مَفْتُوحٌ أَوْ مَغْلُوقٌ]

أي الذي اتصف بحقيقة الحرية، وهي صون العِرض عمّا لا ينبغي وكمال المروءة، سواءٌ كان حرًا أو عبدًا، والمعدن واحد المعادن معروف، والمراد أنّ المعدن خلقه الله على ما فيه، و"صدر الحرّ" طبعه الله على ما فيه من عدم إفشاء السّر، ثمّ قال المصّر تأكيدًا لما قبله: "الصَّدْرُ صُنْدُوقٌ"، وقوله: " مفتوحٌ أو مغلوقٌ" أي ذائعٌ سرُّهُ أو كَاتمهُ؛ أي أنّ الصندوق لا يخلو مهما فتحه أو غلقه، وكذا الصّدر لا يخلو من إفشاء سرّه أو صونه، فللّه درّه في هذا المنزع العجيب والمأخذ الغريب.

وسئل أعرابي عن كتمان السرّ، فقال: ما صدري له إلّا صندوق، وسئل آخر فقال: ما صدري له إلا قبرٌ، قيل له: لِمَ لمْ تَقُل كالأول، قال: الصندوق لا بدّ من فتحه متكرراً، وقال لبيد بن ربيعة العامري المخضرم، لأنه عاش مائة وعشرين سنة، نصفها في الجاهلية ونصفها في الإسلام. وقد مرض فبكت بنتاه فقال ما نصّه:

تَمَنّى اِبنَتايَ أَن يَعيشَ أَبوهُما ... وَهَل أَنا إِلّا مِن رَبيعَةَ أَو مُضَر
فَقُومَا فَقُولَا بِالَّذِي تعلمانه ... وَلَا تَخْمُشَا وَجْهًا وَلَا تَحْلِقَا الشَّعْرَ
وَقُولَا هُوَ الفَتَى الّذي لَا صَديقَهُ ... أَذَاعَ لَهُ الأَسْرَارَ أَطرًا ولا غَدَر/ 59/

لطيفة: لما تليت حفصة بنت عمر، قال عثمان لأبي بكر رضي الله عنهم، قال عثمان لأبي بكر أخطبها لي، فسكت عنه، ثم عاود له فدافعه، ولمّا تزوجها رسول الله ﷺ، قال عثمان لأبي بكر: ما لك لا تخبرني أنّ

رسول الله ﷺ يريد تزويجها، فقال له أبو بكر: ما كنت لأفشي سرّ رسول الله ﷺ. وكان حذيفة بن اليمان صاحب سرّ رسول الله ﷺ هو الذي أراده الشيخ عيسى بن موسى في غوثيته، حيث قال: والأمناء وذوي الأسرار، وما أحسن قول المصّر وأرقه:

لا يكتم السّر إلّا من له كرم والسّر عند خيار النّاس مكتوم
فالسّر عندي في بيت له غلق قد ضاع مفتاحه والباب مغلوق

وقال ابن الرومي:

يا طالب السّر مني فصري له جدث
ولا سئل لبثه ولا له نفث
إلا إذا عمذه وغير كما حدث

أي بفتحة الصّور.

لطيفة: قدم ولد ابن أبي محجن الثقفي على معاوية، فقال له: أنت الذي أوصاك أبوك لمّا حضرته الوفاة بقوله لهجا على الخمر ما نصّه:

إذا مُت فادفِنّي إلى ظل كَرمَةٍ تُرَوّي عظامي في الممات عروقُها
وَلَا تَدْفِنَنِّي فِي الفَلاةِ فإنني أخاف إذا ما متّ أن لا أذوقها

فقال له: بل أنا الذي أوصاني أبي بقوله:

وقائل لك ما العِنا وكثرتِهِ فقل له سلني عن حلمي وعن خلقي
واطعن الطعنة النجلاء عن عرض كتم السّر فيه ضربة العنق

فائدة: فقال صاحب اللباب "الملوك تحتمل كل شيء إلّا ثلاثة: إفشاء/ 60/ سرّها، والتشبيت بحريمها، والسّعي في خراب ملكها". وقال أرسطو الحكيم: نعم العون السرّ على قضاء الحوائج، وقال الحكماء: من سرّ سريرة ألبسه الله رداءها، وقال زهير بن أبي سلمى المزني، وهو أحد الشعراء الستة المشهورين في الجاهلية:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَة وَلَوْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ

قال عثمان بن عفّان رضي الله عنه: والله لقد صدق زهير، ما من أحد يسرّ سريرة على النّاس إلا أظهرها الله لهم. **المثل**: "صابي ويماري".

اعلم أنّ الصّابئين كانوا قبل نوح، وليسوا هم المراد هنا؛ وإنّما المراد صابي بن بادي في عصر خليل من نسلٍ كان بعد نوح عليه السلام. وقولنا في المثل صابئ ويماري أي يجادل ويفاخر من المراء، وهي المفاخرة وهم قومٌ كفار، وهذا يضرب مثلاً لكل سقيط ويفاخر.

ومنهم أبو إسحاق إبراهيم الصابئي صاحب الرسائل المشهورة والنظم البديع، كان كاتبًا لبني بوية الديلمي، وتقلّد ديوان الرّسائل وقدّمه السّلطان عز الدولة على غيره، وكانت تصدر عنه مكاتبات إلى عضد الدولة بما يؤلمه، ولمّا قتل عزّ الدولة وولي عضد الدولة اعتقله خمس سنين ثم أطلقه، وعزم على إلقائه تحت الفيلة فشفع فيه؛ وكان أمره أن يضع كتابًا في أخبار الدولة الديلمية فشرع في كتاب التاج، فقيل لعضد الدولة دخل على الصّابئي رجلٌ، فقال ما تضع وهو يؤلف فقال: أباطيل تمقتها وأكاذيب ألفتها؛ فحرّكت ساكنه وهيّجت حقده؛ فأقصاه وكان مشدودًا في دينه، وراوده عزّ الدولة أن يسلم فلم يفعل، وكان يصوم رمضان ويحفظ القرآن أحسن حفظ، توفي سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

"صكّه بعدما حكّه" هو مثلٌ لمن تعمل معه الخير ويقابلك بالشرّ، مانعه مصانعة سنمار، هو من معنى ما قبله، وفي بعض الكتب جازاه مجازاة سنمار. كان/ 61/ سنمار هذا من أعجب العجاب في البناء فبنى الجوسق لمعاوية بن النضر على الفرات ومنعه من النزول، لئلّا يقدره فطار فمات، فضرب به المثل في مكافأة الخير بالشرّ، وهذا كان قبل الإسلام بكثير.

حرف الضاد أي المعجمة

[ضَلاَلُ المَرْءِ سَيْفُهُ، وَبِهِ حَتْفُهُ، الضَّيْفُ كالظِّلِّ وَإِنْ طَالَ مُرْتَحِلٌ]

الضَّلال بالفتح الظُّلم والخروج عن طريق الحقّ، والمعنى أنّ ضلال المرء وظلمه كسيفه في الاحتماء والعزّة به، قال ابن دريد في المقصورة ما نصّه:

مَن ظَلَمَ الناسَ تَحامَوا ظُلمَهُ وَعَزَّ عَنهُم جانِباهُ وَاِحتَمى
وَهُم لِمَن لانَ لَهُم جانِبُهُ أَظلَمُ مِن حَيّاتِ أَنباتِ السُّفى

وقوله: "وبه حتفه" أي بسيفه، حتفه أي هلاكه إمّا في الدّنيا فالبقطع إن قطع، والقتل إن قتل ونحو ذلك من الجنايات، وأمّا في الآخرة فبالانتقام بالعذاب الأليم قال تعالى: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1] وقوله: "الضَّيْفُ كَالظِّلِ وَإِنْ طَالَ مُرْتَحِلٌ". **اعلم** أنّ الضيافة سُنّة والتكليف بدعة، وربّما أشعر بهذا كلام المصّر حيث نصّ على ارتحاله عمّا قريب، ففي ذلك إيماء إلى إكرامه والالتفات إلى إنعامه.

وأمّا صريح كلامه والله أعلم ففي مدة إقامته، وذلك أنّ الضّيف إن أراد الذهاب بعد ليلة أو أقل منها فله ذلك، وإن أراد الإقامة فالضيافة المشروعة ثلاثة أيام، ثم لا بقاء بعدها ولا حقّ له. وقد حكم بهذه المدّة عمر رضي الله عنه على أهل الذّمة بمصر والشام والعراق والجزيرة، ولما تجاوز المسلمون الحدّ الذي جعله أسقطها عنهم. وأول من ضيّف الضيفان إبراهيم الخليل عليه السلام[2].

(1) سورة الإنسان، الآية: 31.

(2) قال الحريري في المقامات بحرمة الشيخ الذي سرى بقرى وأسس البنيان في أم القرى. إسماع الأصم، المصدر السابق، و: 62ظ.

يحكى أنّه كان لابد لكلّ عشاء أو غداء إلّا بعد الفحص عن الضيفان، ثم ورث منه هذه المكرمة بنوه، ومن فرط كرمه أنّ الملكين اللذين/ 62/ جاءاه على صورة رجلين من بني آدم، شوى لهما عجلاً من البقر سمينًا جدًا بقوله تعالى: ﴿حَنِيذٍ﴾[1]، بمعنى محنوذ اسم مفعول أيّ مشوي لظنه أنّهم من الآدميين انظر التفاسير. وظهر في نسله من ربيعة ومضر العجب حتّى إنّ بعضهم كحاتم وابن سعدي وكعب بن أمامة وغيرهم، يقولون لعبيدهم من يأتي بضيف فهو حرٌّ، ويأمرون بإيقاد النّار على الربا ليراها الضّيف كما قال الشاعر:

إذا ظل عنهم ضيفهم نشروا له من النار بالظّلماء ألوية حُمرا

وأمّا يوسف عليه السلام فحدّث عن البحر ولا حرج، ففي البخاري أنّ رسول الله ﷺ قال: "**الكَريمُ بن الكَرِيم بْن الكَرِيم بْن الكَرِيم يُوسُف بن يَعْقوب بْن إسْحَاق بنِ إبْراهيم**". وقد فسرته بالظّل لأنّه راحلٌ لا محالة ألا ترى أنّ الخلجان ملك قبائل عاد، لما بعث قيلا ومرتد بن سعد في سبعين لمكّة يستسقون، فنزلوا على معاوية بن أبي بكر لمصامرة بينهم، فلمّا أكملوا ثلاثة أيام استثقلهم وأمر قنينتيه وهما الجرادتان، فأمرهما أن يقولا ما يحرك وفد عاد لبلادهم بعد استسقائهم، ولمّا أتوا بالغد انصبّ القنيات أعوادهن وقلن ما نصّه:

أَلَا يَا قَيْلُ وَيْحَكَ قُمْ فَهَيْنِمْ لَعَلَّ اللَّهَ يصْحَبنَا غَمَامَا
فَيَسْقِي أَرْضَ عَادٍ إنَّ عَادا قَدْ أمْسَوْا لا يُبَينُونَ الْكَلَامَا
وَإنَّ الْوَحْشَ تَأتِيهِمْ جِهَارًا فَلَا تَخْشَى لِعَادِيٍّ سِهَامَا
وَأنْتُمْ هَا هُنَا فِيمَا اشْتَهَيْتُمْ نَهَارَكُمُ وَلَيْلَكُمُ نِيامَا
يَا وَفدُ قُبِّحْتَ مِنْ وَفْدِ قَوْمٍ وَلَا نِلْتَ التَّحِيَّةَ وَالسَّلامَا

فلمّا سمعوا شعر الجرادتين لام بعضهم بعضا، وقاموا للاستسقاء

(1) سورة هود، الآية: 69.

إلخ القصّة. قولهما فهينم أيّ لنزول المطر، لأنّ الهينمة الدّعاء. وحكايات ثقل/ 63/ الضّيف بعد ثلاث كثيرة، نضرب عنها روما للاختصار، وإن كان مبتغى بحسب الانجرار.

لطيفة: قال في المستطرف ضاف رجلٌ رجلاً؛ فهرب صاحب المنزل، ولما أيس منه الضيف خرج إلى السّوق، واشترى ما يصلح له ثم كتب إلى ربّ المنزل:

يا أيها الخارج من بيته وهاربا من شدة الخوف
ضيفك قد أتى بزاد له فارجع فكن ضيفًا على الضّيف

تنبيه: قال السّادة الصوفية منع الموجود من سوء الظّن بالمعبود، وقال عبّاد بن عبّاد المهلّبي لهارون الرشيد: يا أمير المؤمنين وكيف أبخل والله يقول: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[1]. وقال القلّالي:

وَمِنْ حُسْنِ حَالَاتِ الفَتَى لو عَلِمْتهِ إذَا نَالَ شَيْئاً أنْ يَكُونَ يُنِيلُ

أعجوبة: "لقي ذو النون المصري أحد رجال الطريقة شقيقا البلخي الصّوفي المشهور، فقال له شقيق: كيف الزّهد عندكم؟، قال ذو النون: إذا أُعطِينا شكرنا وإن مُنِعنا صبرنا، فقال له شقيق: هذه طبيعة كلابنا ببلخ، فقال له ذو النون: وكيف أنتم؟ فقال: إذا أعطينا أثرنا وإن منعنا شكرنا ". اهـ. فشتّان ما بين المقامين.

لطيفة: في البُخل دعا رجلٌ رجلاً فقيراً لطعامٍ ثم ندم، وساءت حاله وضاق أمره به، فقال الفقير ما نصّه:

صديق لنا من أبدع الناس في البخل وأفضلهم فيه وليس بذي فضل
دعاني كما يدعو الصديق صديقه فجئت كما يأتي إلى مثله مثلي
فلمّا جلسنا للطعام رأيته يرى أنه من بعض أعضائه أكلي

(1) سورة سبأ، الآية: 39.

ويغتاظ أحياناً ويشتم عبده فأعلم أنّ الغيظ والشّتم من أجلي
أبين يدي سرًا لأسرق لقمةً فيلحظني شزرا فأعبثُ بالبقل/ 64/
إلى أن جنت يدي بحتف جناية وذلك أنّ الجوع أعدمني عقلي
فجرت يدي للحين رجلا دجاجة فجرّت كما جرت يدي رجلها رجلي
وقمت لو أني كنت من يطيب ذاك ربحت ثواب الصّوم من قلّة الأكل

طريفة: كان عاصم بن محمد بن عثمان بن عبّاد ﷺ من عدول القضاة، وكان يقول: لا أجمد عن الحقّ ولا أذوب في الباطل، لكونه مسيكا فقال فيه بعض المعاصرين من أولاد الصّحابة ما نصّه:

سيرا بنا قد جنّ الظّلام عليكما فبئس الذي نرجو القرا عند عاصم
فما كان لي ذنب إليه علمته سوى أني قد زرته غير صائم

المثل: "ضَيَّعَنِي صَغِيرًا وَحمَّلَنِي ثِقَلَ الثَّاءِ كَبِيرًا"، هذا مثلٌ سائرٌ قاله امرؤ القيس، وذلك أنّ أباه طرده لمّا قال الشّعر؛ فكان ينتقل في أحياء العرب، ويتتبع الصّعاليك منهم، فكان يغير بهم، وكان أبوه ملك بني أسد فعسفهم عسفًا شديدًا، فتمالؤوا على قتله فقتلوه، فلمّا بلغ امرؤ القيس قتل أبيه وهو يشرب الخمر، قال: " ضَيَّعَنِي صَغِيرًا وَحمَّلَنِي ثِقَلَ الثَّاءِ كَبِيرًا "، اليوم خمرٌ وغدًا أمرٌ، فأرسلها مثلاً. انظر تمام القصّة في شروح المقصورة عند قوله:

إنَّ امْرأَ القَيْسِ جرى إلى مَدَى فاعْتاقه حَمَامُه دُوْنَ المَدَى[1]

"ضَاقَ العُمرُ واتّسَع الحَرْقُ"، هذا مثلٌ يضربُ لكل من ضاق زمانه على إصلاح فساده.

قلت: والأولى أن يُضرب لمن أسرّ على المعاصي، ولم يبق من زمانه ما يقصي فيه ذلك، ولذا يحكى أنّ فقيهاً ببغداد كان يدرس الفقه؛

(1) أبو الفيض مرتضى الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج35، ص: 37.

فبينما هو ذات يوم ذاهبٌ في طريقه؛ إذ سمع مُنشدًا يقول ما نصّه:

إِذَا الـعِـشُـرونَ مِـنْ شَـعـبَـانَ ولَّـتْ فَـواصِـلْ شُـرْبَ لَـيـلِـكَ بِـالـنَّـهَـارِ/ 65/
وَلَا تـشـربْ بـأقـداحٍ صـغـارٍ فـقـدَ ضَـاقَ الـزَّمَـانُ عَـلَـى الـصَّـغـارِ

فحسب سني تعميره بألفاها أربعين سنة، وبقي لمدة التعمير على القول بأنّها ستون، عشرون وهو ثلثها، كما أنّ عشرة من شعبان ثلثه، ففرّ بوجهه يقضي ما فاته من أنواع الطّاعات وضروب العبادات، وذلك آخر العهد به.

حرف العين

[عِلمُكَ كَنْزُكَ، وَضَرّكَ نَفْعُكَ، العِلْمُ نُورٌ والعملُ سُرُورٌ]

هذا من المصّر تلميحٌ لقول الحكماء "العلم كنز لا يفنى"، وقد قال الإمام ابن مالك في ألفيته في باب نعم، كالعلم نعم المقتنى والمقتفى. قال الشيخ المكودي "المقتنى المكتسب والمقتفى المتبع"، وقال في آخرها: "كما اقتضى غنا بلا خصاصة"، قال أكثر الشرّاح في مبحث هذا الشطر: إنّ العلم كنزٌ عظيمٌ لا خصاصة معه، والخصاصة الفقر.

وقد قال العلماء في شرح حديث قوله ﷺ: "**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بالقُرآنِ**"[1]، إنّ أحد احتمالاته على معنى، ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن، أي أنه غنًا لا فقرَ معه.

قول المصّر: "وضرّك نفعك" أي أنّ كدّك وتعبك وكدحك للتوصل لعلمٍ أو مالٍ أو حجٍّ أو تمجدٍ أو شيء تعبت فيه، من الأعمال البرية هو عينٍ نفعك، ألا ترى إلى قوله ﷺ في غزوة الأحزاب: "**قَاتَلَهُم اللَّهُ شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى**"، أراد ﷺ صلاة العصر، ولولا تعبه ﷺ في الجهاد وكفاحه العدّو ما أُقرّت، وكلّ ذلك له فيه عند الله أجرٌ عظيمٌ، وقال المنداسي في عقيقته ما نصّه:

تَعْبِي فِي رَاحَتِي أَوْ طِيبِي فِي إِمْرَارِي

---

(1) أخرجه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾ 3 / 501 وفي مواضع أخرى. وسنن أبي داود برقم (1469، 1470). والمسند (5/ 172). ومسند البزار برقم (2332) "كشف الأستار". أخرجه أبو داود، السنن، الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة: 1469. أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين 1/ 758.

والأصل إمراري في طيبي، ليوافق ما قبله إيمان تعبه، يؤول لراحته ومراره وحنظله يعود/ 66/ عملاً مصفّى، وذلك كلّه من حسن العاقبة والتوفيق والعمل المشكور والسعي المبرور، قوله: " العِلمُ نُورٌ والعَملُ سُرورٌ" في الحديث "**أنّ العِلمَ نُورٌ يَقذِفُهُ اللهُ فِي قَلْبِ مَنْ يَشَاءُ**"، وإن تعب فيه فمآله للراحة، ألا ترى أنّ دواء الأبدان لا يكون إلّا بما يَشقُّ على النّفس حتّى قالوا لو شاء الله لجعل منفعة الأميلج في اللوزينج، الأميلج دواء لا تحمله النّفس، واللوزينج الحلاوة المعقودة، كذا العلم لا يُنال إلّا بتَعبٍ وطول زمانٍ، قال ابن مالك: كَهُنَا امْكُثْ أَزْمُنَا، ففيه تورية لطيفة، فالعمل هو سرور العلم ومحصيه، وحافظه فمن تعلم مسألةً من العلم ولم يعمل بها، فقد ضيّعها، فكأنّها خرجت من باب السرور؛ فلم يحفظها. وقالوا لا علم إلّا بعمل العلم، كالغصّ النّاعم، والعمل ثمرته فإذا وجد العلم قال بلسان حاله: "أين العمل فإن لم يوجب ارتحل"، اهـ.

وما أحسن قول ابن عطاء الله في الحِكَم: " الأرواح صورٌ قائمة وسرّها وجود الإخلاص فيها، كما أنّ العلوم صورٌ قائمة وسرّها العمل، ألا ترى أنّ قول علي ﷺ في الفرق بين العلم والمال، العِلمُ يَحرُسُك، والمالُ أنت تحرسُهُ، المال ينقص بالإنفاق والعلم يزيد به" اهـ.

وما ذاك إلّا إذا وافقه عمل، وإلّا كان صنعة كما في المدخل لا علم، وقيل لابن المبارك: " أيّها العالم، فقال: ويحك، العالم من اتقى الله"، وفي كتاب العقد الفريد لابن عبد ربّه يجعل الله تعالى سيئة الجاهل بواحدة، والعالم بسبعين، فيقول يا رب هذا فعلت سيئته واحدة وأنا سبعين، فيقول تعالى: ليس من علم كمن لم يعلم" اهـ. قلت: ولذا قال ابن عطاء الله في الحِكَم: العِلْمُ إن قَارَنَتهُ خَشي فلك، وإلّا فعليك، قال ابن عبّاد عقبه العلم الذي تلازمه فالخشية لك، لأنّك تُشَفَّعُ بهِ في دنياك وآخرتك، والعلم الذي/ 67/ لا خشية فيه عليك، لأنّك تستغربه فيهما.

وهذا هو الفرق بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة، وقد قال الفضيل ابن عياض: العلم صار اليوم فتنة على النّاس، وقال أيضًا: لنا فضل العالم على غيره، لأنّه يتقي الله به، فإن أراد التوصل به إلى عمل دنيوي، حبط عمله وخسر عمله، وخَسِرَ خسرانًا مُبِينًا. وكان الحسن البصري يقول: والله ما طلب هذا العلم أحد إلّا كان حظّه منه ما أراد به، وقال أيضًا: عقوبة العالم موت القلب بسبب طلب الدّنيا.

وعن الإمام الأوزاعي شكت النواوين إلى الله تعالى ما تجد من نتن جيف الكفار، فأوحى الله إليها بطون علماء السوداش، وعن الفضيل بن عياض تبدأ النّار بالفسقة من العلماء، وحملة القرآن قبل عُبَّاد الأوثان، وفي الحديث يخرج في آخر الزمان رجال يختالون الدّنيا بالدّين.

فائدة: قال الشيخ الحسن اليوسي في حاشية الكبرى، يشترط فيمن يدّعي الولاية والصّلاح أن لا يكون منهمكًا في اللّذات والشهوات اهـ. أيّ وإلا كانت دعوى باطلة بالشهادة على كذبه. وقال الشيخ إبراهيم في مبحث النّاس: سئل الإمام مالك عن سفلة السفلة، فقال: من يأكل الدنيا بدينه اهـ. أيّ بزعمه أنّه متدين يبحرها بذلك، وذلك عين الغِشّ بكسر الغين بنفسه ولغيره.

وعن أبي الدّرداء أنّ الله أنزل في بعض الكتب: قل للذين يطلبون الدنيا بعمل الآخرة لآتينَّ لهم فتنة تدع الحليم منهم حيران .**قلت**: هذا مع عملهم للآخرة؛ فكيف لمن يدّعي بلسانه، ولم يعمل كأهل زماننا هذا إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المثل: " عَسَى الغُوَيْرُ أَبُؤسًا "، هذا مثلٌ سائرٌ قالته الزِّبَاء، وذلك أنَها بعثت قصيراً للتجارة وبعد مدّة أنّها أُخبِرَت أنّه نزل الغوير اسم ماء، فقالت ذلك أي عساه يتوقع منه/ 68/ السّوء والبؤس، فأدخل عيرا

بصناديق فيها الرجال؛ فأتى نبطي من أنباط الزِّبَاء بمخيط وأدخلها بين شقوق الصناديق فأصابت رجلاً فضرط، فذهب وهو يقول: الشرّ الشرّ يبادر إليه قصير، فضرب عنقه إلخ القصة.

"عَوْزُكَ الأَكْفَا قَعْرٌ سَخِيفُ النَّحْفَا"، هذا مثلٌ سائرٌ، وذلك أنّ ابرويز بن هرمز بن أنوشروان الفرسي الساساني، كان قتل ابن عمّه لئلا يلي أحدٌ الملك حتّى أنّه حبس ابنه شيرويه، فقالت له ابنته زرديخت هذا المثل، فأغرى أهل الدولة ولده بعد إطلاقه فقتله أول سنة سبع من الهجرة، بعدما ملك ثمان وثلاثين سنة، ثم وُلِّيَ شيرويه ثمانية أشهر، ثم بوران أخته، ثم زرديخت المتقدمة، إلى أن قتل آخرهم يزدجرد بن شهريار بن ابرويز فقتل في خلافة عثمان، وبه انقضى ذلك الملك العظيم، بعد نحو ستمائة سنة من ملك أردشير بن بابك الساساني، وقبله ملوك من الفرس القشرانية والْكِينِيّة والْأَشْغَانِيّة أولاد أشغان بن دار الأكبر.

حرف الغين أي المعجمة

[غيْبُك[1] فِي النَّاسِ غَمْرُكَ فِي البَأْسِ الغَفْلَةُ بَحْرٌ مَا لَه قَعْرٌ]

الغيبة بكسر الغين المعجمة هي قولك في النّاس ما يكرهون، قال تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾[2]. وأمّا الغَيبة بفتح الغين فهي ضدّ الحضور، وقوله غمرك في البأس أيّ الحرب والقتل، والفتنة. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾[3]. قال الجلالان[4]: أي جهلٌ يغمرهم. اهـ.

والغيبة من الكبائر الموبقات ألا ترى أنّها تبطل الاعتكاف على أحد تأويلي المدونة، وقد قيل من مبحث الفقه إنّها تبطل الصّوم. انظر المختصر وشرّاحه، والفرق بينها وبين النميمة أنّ الثانية الذهاب بين الناس بالإفساد. وقوله: الغفلة بحر ما له/ 69/ قعرٌ، لأنّ الغفلة عن أمر والتساهل فيه يوقع في أهوال عظام كموج البحر، ولا ينتبه منها حتّى توقظه زعازع المحك المخاوف والفتن؛ فيفوته تدارك الأمر وتلافيه.

ولمّا اطمأنّ بنو أمية بملكهم المعمور، واستفحل أمرهم، صاروا لا

(1) أسقط المصّر التاء من غيبك، وأصله غيبتك للإضافة على حدّ قوله تعالى: ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾. انظر للأشموني عند قول الخلاصة نونا على الإعراب الخ. من كاتبه عفا الله عنه. أبو راس الناصر، إسماع الأصم، وو: 69.

(2) سورة الحجرات، الآية: 12.

(3) سورة الذاريات، الآية: 11.

(4) يقصد بهما جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ)، وهو المسمى تفسير الجلالين.

يبالون، وقد ساعدتهم الأقدار وسالمهم الدّهر، وامتدت لهم الأيّام، قيّض الله لهم أبا مسلم الخراساني، فبايع إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبّاس، ولمّا قتله مروان بن محمد بن مروان بايع عبد الله السّفاح، وجعل دار ملكه مرو الروذ إحدى قواعد خراسان، وبويع وقوت شكيمته، واشتدت شكوته قام فهدم ملكهم، وبايع لمن ذكر ثم أنشأ يقول ما نصّه:

أدركت بالكتم والكتمان ما عجزت ... عنه ملوك بني مروان إذ حشدوا
ما زلت أسعى عليهم في ديارهم ... والقوم في غفلة بالشام قد رقدوا
حتّى ضربتهم بالسّيف فانتبهوا ... من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنما بأرض مسبعة ... ونام عنها تولى رعيها الأسد

تنبيه: الغفلة والسّهو والنّسيان ألفاظ مترادفة عند اللغويين، وعند الفقهاء بالتباين، انظر شرّاح المختصر أول باب السّهو. **المثل**: " غدّةٌ كَغُدَّةِ البَعِيرِ وَمَوْتٌ في بيْتِ امرَأَةٍ سَلُولِيَّةٍ"، هذا مثلٌ سائرٌ، وذلك أنّ عامر بن الطفيل العامري الأعور، لمّا أسلم عمّه براء ملاعب الأسنة، بعث إلى رسول الله ﷺ أن يبعث إليه من يعلّمه الدّين والقرآن، فبعث له سبعين من أهل الصّفة؛ فسمع بهم عامر، فأتاهم مع عصبة ورعلان وذكوان فقتلهم كلّهم، فسمع رسول الله ﷺ فدعا عليهم شرًّا بعد رفعه من الركوع في صلاة الصّبح، ثمّ إنّ عامرًا أتى/ 70/ النّبي ﷺ يزعم أنّه يسلم وهذا ضمر الغدر بأن قال لابن عمّه أربد بن قيس: أنا أشغله بالحديث وأنت اضربه بالسّيف. فوقف معه رسول الله ﷺ راجيًا إسلامه لأنّه من فرسان الجاهلية المشهورين فقال له: أسلم يا عامر ويحك، فقال له عامر: على أن تجعل لي الأمر من بعدك، فقال ﷺ: "**إِنَّما الأَمْر لِلَّه، وَلَكن أجعَل لَك أَعنة الخَيل فِي سَبِيل اللَّه**"، فقال عامر: أوليست هي بيدي الآن لأملأنّها عليك بألف شقراء، وأعرض عن رسول الله ﷺ، فقال: اللّهم اكفني عامر بن الطفيل، ثمّ إنّ عامرًا قال لابن

عمّه أربد: ما لك فشلت عن ضربه؟، فقال مهما أردت ضربه فلم أرك إلّا أنت، أفأضربك أنت؟ فذهبا قاصدين أهلهما فأخذت عامر في طريقه حبّة طاعون فأثقلته وأقلقته حسبما ذكرنا ذلك في تأليفنا في الطاعون، فصار يركض فرسه ويقول: غُدَّةٌ كَغُدَّةِ البَعِيرِ وَمَوْتٌ في بيْتِ امرَأَةٍ سَلُولِيَّةٍ. فسقط في منزل تلك المرأة فمات لعنه الله. ومعناه اجتمع علي أمران لا أحبّهما على حدٍّ ما مرَّ في قول الأعرابي: حشف وسوء مكيلة، لأنّ سلولا عندهم من أضعف القبائل.

وأمّا ابن عمّه أربد بن قيس فأتى أهله وسألوه، فأخبرهم عن عامر فبكوا ثم سألوه عن أمر رسول الله ﷺ فقال: إنّه دعانا إلى ربّ في السّماء لو رأيته لا لجمته قوسا، فقيل له: إنّ بعيرك الفلاني ضلّ فذهب للتفتيش عنه؛ فأصابته صاعقة فأحرقته قال تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾[1]، من عباده. قالوا: إنها نزلت فيه.

(1) سورة الرعد، الآية: 13.

حرف الفاء[1]

[فَازَ الخَفِيفُ عَلَى الكَثِيفِ، الفَارُّ مِنْ هَوَاه، الجَنّةُ مَأوَاهُ]

المراد بالكثيف الثقيل لتحسنه لمقابلته بالخفيف، والوجه في ذلك مراعاة فواصل السّجع، قال في موضع السر المكنون ما نصّه: / 71/

والسَّجْعُ في فواصلٍ في النّثرِ مُشبِهةٍ قافيةً في الشِّعْرِ

ولمّا قال الحجاج بن يوسف للقبعثرى لأحملنّك[2] على الأدهم، فقال له: من كرم الأمير يحمل على الأدهم والأشهب، فقال الحجاج ويحك من حديد، فقال: لأن يكون حديدًا خيرًا من أن يكون بليدًا، يعني أنّ كون الفرس حديدا أي: خفيفًا خيرًا من أن يكون بليدًا، أي ثقيل السّير فالحجّاج أراد شيئا بالقبعثرى؛ فحمله على غير ما أراد، قال في البيان ما نصّه:

وَمِنْ خِلافِ المُقتَضى صَرْفُ مُراد ذي نُطْقٍ أوْ سُؤْلٍ لِغَيْرِ ما أَرادْ
لِكَوْنِهِ أَوْلى بِهِ وَأَجْدَرا كَقِصَّةِ الحَجَّاجِ وَالقَبَعْثَرى

(1) حرف الفاء، تقول العرب المثل في أباطيل أعوان، وفي القرآن: ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ﴾ سورة الجاثية، الآية: 19. من كاتبه سيدي محمد بن إبراهيم وفقه الله آمين. أبو راس، إسماع الأصم، وو: 71.

(2) قال الحجاج: احملوه، فحملوه، قال القبعثرى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ سورة الزخرف، الآية: 13. قال الحجاج: اطرحوه، فطرحوه، قال القبعثرى: ﴿۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ﴾ الآية. قال الحجاج: "منعك مني أدبك". وخلى سبيله. وسبب هذا أنه "ذكر عنده الحجاج، وهو تحت كرم عنب، فقال: اللهم اقطع عنقه وسوّد وجهه واسقنا من دمه، فوشي به إلى الحجاج، فكان معه ما كان" اهـ. وقوله اللهم اقطع أراد به الحجاج واعتذر عن ذلك بالعنقود من العنب. أبو راس، إسماع الأصم، وظ: 72.

تنبيه: في بعض نسخ الشيخ العارف بالله بن أبي جمرة أنّ ميزان الدّنيا عكس ميزان الآخرة؛ فالخفيف فيه هو الوازن، والهابط غير وازن. فعلى هذا قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1] أي المرفوعة للسّماء وما يناسبه قوله تعالى ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[2] بعد قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾. وقد قال العلماء: إنّ الحسنات والسيئات تكون إذ ذاك أجرام لتقبل الخفة والثقل.

لطيفة: كان بنو راسب وبنو طفاوة، وهما قبيلتان من العرب تنازعا في استلحاق صبي؛ فكل منهما يدّعيه، فترافعا لزياد عامل معاوية على العراق، وكان من الدّهاة، فسكت طويلاً ينظر في أمرهما، وفي مجلسه سراقة التميمي، وكان كثير المداعبة والمفاكهة لزياد، فقال: أيّها الأمير اجعل هذا الصّبي في قلة من الماء، إن رسب بأن ثقل ونزل إلى القعر فهو لبني راسب، وإن طفا خفّ وعلا وارتفع فوق الماء فهو لبني طفاوة، فضحك زياد. يقال: إنه لم يضحك في مداعبته له إلا في هذه.

وقول المصّر: الفارّ من هواه/ 72/ الجنّة مأواه، تقدّم في حرف الذّال المعجمة. الكلام على ذلك فيه مبسوطاً بلا قرير عليه، وقوله: فاز الخفيف على الكثيف كأنّه مثل، ولذا كان كلام قطب الصّوفية وأفضل التابعين عند أهل البصرة سيدنا الحسن البصري " فَازَ المُخَفِّفُونَ" مثلاً سائرًا، وذلك أنّ أسواق البصرة احترقت؛ فكثر حزن النّاس وكآبتهم على احتراق سلعهم وأمتعتهم، وهو رضي الله عنه ليس له إلّا مصحف قرآن جعله بيده رافعًا لها، ويقول فَازَ المُخَفِّفُونَ ويكررها، وفيه اثنتان الأولى: تخفيف الدّنيا لكونه ليس له ما يشغله ويثقله، تعريضاً بالتجار الذين احترقت سلعهم، فلهم بها شغلٌ وثقل، مع زيادة حزنهم عليها وعلى ما فاتهم من

(1) سورة الأعراف، الآية: 8.

(2) سورة فاطر، الآية: 10.

رأس مالها وربحها. والثانية: أخروية وهي أنّ من اكتسب الأموال في الدّنيا الغالب عليه الثقل بالأوزار يوم القيامة، والحسن رضي الله عنه كما خفّف في الدّنيا من الأموال يخفّف في الآخرة من السّيئات، ألا ترى إلى قوله ﷺ: "**خَيْرُكُمْ بَعْدَ الْمِائَتَيْنِ وَالأَلْفِ خَفِيفُ الحَاذِي**، قالوا: وما خَفِيفُ الحَاذِي يا رسول الله؟ **قال: الَّذِي لَا أَهْل لَه وَلَا وَلد**"[1].

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (ج7/ 292، رقم: 10350)، والخطيب (ج6/ 197)، وابن عساكر (18/ 211). وأخرجه أيضًا: الديلمي (ج2/ 170، رقم: 2852).

حرف القاف

[قِفْ مَعَ الحَقِّ وَلا تَخْشَ الخَلْقَ، القَلبُ سُلْطَانٌ حَاجِبُهُ اللِّسَانُ]

قال الله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾[1]. وقال أيضا: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾[2]، وقال تعالى أيضا: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾[3].

ولمّا توفي رسول الله ﷺ ارتدّت العرب، فشمّر أبو بكر لجهادهم؛ فقال له عمر رضي الله عنهما، كيف تقاتل قومًا يشهدون أنّ لا إله إلّا الله، فقال أبو بكر: إنهم منعوا الزكاة، أرأيت لو ضيّعوا الصّلاة وغيرها. ثم/ 73/ قال: والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدوه رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، ولا نخشى في الله لومة لائم. قال عمر: فقام أبو بكر، وركب راحلته فالتقت حلقتا البطان؛ فعلمت أنّه على الحقّ، فشرح الله صدري لما شرح صدره. قال العلماء: الخلفاء ثلاثة أحيوا ثلاثة أشياء أبو بكر الإسلام في العرب، وعمر بن عبد العزيز[4] ردّ المظالم التي ظلموها قومه بنو أمية، ولم يخش لومة لائم منهم، والمتوكّل العبّاسي أحيا السّنة وأمات البدعة،

(1) سورة النساء، الآية: 135.

(2) سورة المائدة، الآية: 8.

(3) سورة المائدة، الآية: 54.

(4) عمر بن عبد العزيز (61-101هـ/ 681-720م) بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو حفص: الخليفة الصالح، والملك العادل، وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيها له بهم. وهو من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشام. ولد ونشأ بالمدينة، وولي إمارتها للوليد. ثم استوزره سليمان بن عبد الملك بالشام. وولي الخلافة بعهد من سليمان سنة 99 هـ، فبويع في مسجد دمشق. ومدة خلافته سنتان ونصف. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج5، ص: 50.

وذلك أنّ المأمون بن الرشيد قال بخلق القرآن، ووافقه كثير من العلماء على هواه. ولمّا مات أوصى أخاه المعتصم بذلك فتبع أثره، ولمّا مات جاء الواثق وفي كُلٍّ ذلك الإمام أحمد يمتحن، وكذا الإمام أحمد بن نصر داما على قولهما، القرآن صفة من صفات الله، وصفاته قديمة. ولم يخشيا في الله لومة لائم. أمّا ابن نصر فقتله الواثق سنة إحدى وثلاثين ومائتين.

وأمّا الإمام أحمد فلمّا توفي الواثق وولي المتوكل رجع عن ذلك، وقال بقول الإمام أحمد، وكتب إلى الأقطار، وظهرت السّنة وأضمرت البدعة. وقول المصّر: القلب سلطان حاجبه اللسان. وأراد المصّر بذلك حديث "**ألا وإنَّ في الْجَسَدِ مُضْغَة إن صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كلّه، وإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كلّه ألَا وَهِيَ الْقَلْبُ ثَلَاثًا**"[1]. وقد مرّ أنّ العقل فيه، وقيل في الدِّماغ. وقوله حاجبه اللسان أراد ترجمانه اللسان؛ والحاجب عون من الأعوان والجوارح، لأنّها أعوانٌ للقلب، ولذا يسمّى سلطانًا، وكانت الحكماء من اليونان مثل: أرسطو طاليس، وأفلاطون، وأبقراط وغيرهم. يحكمون للقلب بأنّه الرئيس وسائر الجوارح أعوان. وكان الطبيب/ 74/ الأكبر جالينوس لا ينظر لشيء من الجسد حتّى ينظر للقلب، لأنّه أصل كل صحة وسقم، وكذا هي ممّا مر.

تنبيه: مرّ بنا أنّ اللّسان ترجمان على القلب، ودليله قول الإمام محمد بن داود الظاهري، قال في بعض مناظرته لابن سريج الشافعي:

(1) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه وعرضه برقم (52) ومسلم فى كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات رقم (1598) وأبو داود في كتاب البيوع، باب في اجتناب الشبهات برقم (3329) والترمذي في كتاب البيوع، باب ترك الشبهات (1205) والنسائي في كتاب الأشربة برقم (5710) وابن ماجه في كتاب الفتن، باب الوقوف عند الشبهات (3984) وأحمد حـ 4 ص 267.

وينطق لسني عن مترجم خاطري فلولا اختلاسي ردّه لتكلمنا

وأمّا العين فيقتبس الفطن منها تلويحات؛ فهي كالدّليل على القلب، ولذا قال علي بن الجهم في مجلس المتوكّل ما نصّه:

وكنت كالكتاب أخفاه طي فاستدلوا عليه بالعنوان

المثل: "قَائِفهَا أَعْرَفُ بِهَا"، مثلٌ سائرٌ، وذلك أنّ مجرية بنت المنذر ابن الجارود بن المعلى العبدي، أصله من قبائل عبد القيس، تزوّجت بابن مصاد يمني فتوفي؛ فأتت قومها فتزوّجت فيهم، فأتت بولد فتنازع فيه اليمانيون وعبد القيس، فدعيت القافة فألحقته باليمني، فقال قوم: كيف ذلك، فقال حكيم: دعونا من الخصومات قَائِفهَا أَعْرَفُ بِهَا؛ فالضمير في قائفها يرجع للدعوى، ومن ذلك الوقت سمي وضاح اليمن، وهو الذي عشقته أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان زوجة الخليفة الوليد ابن عبد الملك، انظر شرحنا الدرة الأنيقة في شرح العقيقة، والقافة جمع قائف كحاكة وحائك، كانت في قبيلتين من العرب بني مدلج وبني أسد حتّى إنّ مذجح المدلجي دخل على رسول الله ﷺ وحوله زيد بن حارثة وابنه أسامة قد غطيا بقطيفة فلم ير رأسيهما، وإنّما خرجت أرجلهما من تحت القطيفة، فقال الأرجل بعضها من بعض، فدخل ﷺ على عائشة وأخبرها بما قال مذجح كما في شهاب الدين الخفاجي.

حرف السّين

[سَتْرُكَ لِلْعَبْدِ حَظُّكَ فِي الخَيْرِ، السَّاعِي فِي المَهَالِكِ بِلاَ شَكٍّ هَالِكٌ]

ففي الحديث أنّ رجلاً قال: يا رسول الله، رأيت فلانًا يعمل كذا، فقال له ﷺ: "**لَو سَتَرته بِثَوْبك لَكَان خَيْراً لَك**". **قلت**: قال العلماء ولذا شدّد الشارع على شهود الزّنا تشديداً لم يكن في غيره، من أنّهم لابدّ أن يقولوا رأينا فرجًا في فَرجهَا، كالمرود في المكحلة، ويفرّقون في الشّهادة حتّى إنّهم إن أخطأوا في شيء ما، أو اختلفوا حدّوا، انظر ذلك في محلّه.

ولمّا أقرّ ماعز بن مالك[1] بالزّنا بين يديه ﷺ كرّر ذلك عليه مرارًا. ولمّا علم صّحة عقله أمر برجمه، فلمّا وقعت عليه الحجارة هرب؛ فتبعوه فقتلوه. فلمّا أخبر ﷺ بهروبه في الحدّ، قال: "**هلَّا تَركْتمُوه لَعلَّه تَابَ فَيَتُوب اللَّه عَليه**" اهـ. فالسِّتر مأمور به شرعًا وطَبْعًا.

لطيفة: أتت امرأة جميلة لحاتم أحد رجال الصّوفية تسأله عن حيضها فضرطت فخجلت، فقال لها: ما حاجتك؟ فقالت بحشمة: أسأل عن حيضي فقال لها رضي الله عنه: إنّي أصمّ لا أسمع فقرّبيني وارفعي صوتك، سرى

(1) ماعز بن مالك الأسلمي الصحابي، عده ابن عبد البر في المدنيين له مع رسول الله ﷺ واقعة مشهورة وهي اعترافه على نفسه بالزنا فرجم لذلك، كتب له رسول الله ﷺ بإسلام قومه. أخرجه أبو داود والنسائي رقم (4438) في الحدود: باب رجم ماعز بن مالك من طريق ابن وهب، عن ابن جريج، عن أبي الزبير، عن جابر، وأخرجه أيضا (4439) من طريق أبي عاصم. ينظر: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9، 1993، ج9، ص: 232.

عنها وسُرّت سرورًا عظيمًا، ومن ذلك اليوم سُمّي حاتم الأصم ولا يعبرون عنه في كتب الصّوفية إلّا بذلك اللقب، ولا يعرف إلّا به إلى الآن.

ولمّا هرب عبد الرحمن الدّاخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان من بني العباس بالشرف، وقصد المغرب واستقرّ بإفريقية فسمّي به، فأتى المغرب الوسط[1]؛ فاستقرّ بمغيلة بِوَارِزَن عند أبي قادوم فنمى به، فأتى العامل لتفتيش بيت أبي قادوم، ولمّا تجد بُدًّا زوجته أن تكفّ عن ذلك ألبسته تحت لباسها، وكانت في غاية الضخامة وعبد الرحمن في غاية النحافة، وتحزمت عليه فلم/ 76/ ير العامل شيئًا ثمّ عبر البحر على فرسه هنالك، ولمّا تمكن من ملك الأندلس أتت زوجة أبي قادوم وفي تكفة هي وزوجها، فداعبها ليلةً بأن قال لها: ما زال ريحُ إبطك في أنفي، فقالت: أنت ثمة غائب عن إحساسك لم تعلمه هل مني أو منك؟ فكافأها وسرّحها. والكلام في هذا المعنى كثير.

فقول المصّر: " السَّاعِي فِي المَهَالِكِ بِلَا شَكٍّ هَالِكٌ "، هذا من أنواع الجناس كالسّاق والمساق، وقد صدق المصّر إذ من سعى في المهالك هالك لا محالة؛ فيكون جزاؤه من جنس عمله، ولمثل هذا ضربت الحكماء المثل في الشؤم حتّى قيل فيهم:

لَوْ خرَّ سَيفٌ مِنَ السَّمَاءِ مُنصَلِتاً مَا كَانَ إلّا علَى هَامَاتِهِم يَقَعُ

ومن فتّاك الجاهلية السّاعين في المهالك الشنفرى[2]، والسليك بن

(1) لعله يقصد المغرب الأوسط.

(2) الشنفرى: عمرو بن مالك الأزدي، من قحطان، شاعر جاهلي، يماني، من فحول الطبقة الثانية. كان من فتاك العرب وعدائيهم. وهو أحد الخلعاء الذين تبرأت منهم عشائرهم. قتله بنو سلامان. وفي الأمثال: " أعدى من الشنفرى ". خير الدين الزركلي، الأعلام، ج5، ص: 85.

السلكة[1]، والحوفران، وعنتر بن شداد[2] وغيرهم. وكان أبو بصير من فتّاك قريش، ولمّا وقع صلح الحديبية فرّ إلى النّبي ﷺ بالمدينة؛ فبعثت قريش اثنين لردّه فمكّنهما ﷺ منه للعهد الذي عهده مع قريش؛ فلمّا كانوا بالحليفة قتل أحدهما وهرب الآخر، ورجع إلى النّبي ﷺ، فقال: ويل أمّه لو كان له رجال، قال ولمّا سمعت ذلك من رسول الله ﷺ فعلمت أنه لا يمنعني من قريش للعهد، فخرج إلى سيف البحر واجتمعت إليه الفتّاك فما من عيرٍ يمرُّ عليهم لقريش إلّا أخذوه. فكتبوا للنّبي ﷺ إنّا لا نطالبك بردّ أبي بصير وأصحابه كأبي جندل بن سهيل، لكن ابعث إليهم يأتوك للمدينة، فإنهم قد سعوا في مهالكنا. وقول المصّر لابد هالك لأنّ عاقبة المفسد البوار.

ولمّا أراد الأسود بن غفاء الجديسي غدر طسم، لما فعل بهم عملوق الملك حتّى/ 77/ أنّه استعبد منهم هزيلة، قالت له أخته الشموس: يا أخي إنك تسعى في مهالكهم بالغدر، والغدر عاقبته البوار؛ فلم يلتفت لها، وغدر بهم وما نجا منهم إلّا رباح بن مرّة أخو الزرقاء ذات البصر الحاد، فذهب إلى اليمن واستغاث بحسّان بن تُبَّع فأتاهم فاستباحهم وأخته الزرقاء، وهي اليمامة متزوجة في جديس فصُلِبَت على الباب، واحتمل أختها عنز وهرب الأسود إلى طيّ وذلك قبل الإسلام بمئين.

(1) السليك بن السلكة: هو السليك بن عمير بن يثربي بن سنان السعدي التميمي، والسلكة أمه: فاتك، عداء، شاعر، أسود، من شياطين الجاهلية. يلقب بالرئبال. كان أدل الناس بالأرض وأعلمهم بمسالكها. له وقائع وأخبار كثيرة. قتله أسد بن مدرك الخثعمي. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص: 115.

(2) عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي: أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى. من أهل نجد. أمه حبشية اسمها زبيبة، سرى إليه السواد منها. وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفسا، يوصف بالحلم على شدة بطشه، وفي شعره رقة وعذوبة. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص: 91.

المثل: "سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ"، هذا مثلٌ شريفٌ سائر، وذلك أنّ رسول الله ﷺ ذكر صفة أهل الجنّة؛ فقال عُكَّاشَة بن محصن[1]: يا رسول الله، ادع الله أن أكون منهم، فقال ﷺ: "**أَنْت منهُمْ، فقال آخر: يا رسول الله ادع الله أن أكون منهم، فقال له: سَبَقك بِهَا عُكَّاشة**". فصار مثلاً سائرًا لمن طلب من أحد شيئًا وسبقه به غيره. وقوله ﷺ للثّاني سبقك إلخ قطع به التسلسل، هكذا سمعت من مُدَرّسٍ بمصر سنة ست وعشرين ومائتين وألف.

وعكّاشة بشدّ الكاف وتخفيفها؛ فهو اسم منقول من المرتيلا، واستشهد على يد طليحة بن خويلد الأسدي[2] في الرّدة أيام أبي بكر ثمّ أسلم طليحة واستشهد بها وندم أيام عمر.

(1) عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي، من بني غنم: صحابي من أمراء السرايا. يعد من أهل المدينة. شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ وقتل في حرب الردة ببزاخة (بأرض نجد) قتله طليحة بن خويلد الأسدي. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 244.

(2) طليحة بن خويلد الأسدي، من أسد خزيمة: متنبئ، من الفصحاء، يقال له (طليحة الكذاب) كان من أشجع العرب، يعد بألف فارس، كما يقول النووي: " قدم على النبي ﷺ في وفد بني أسد، سنة 9 هـ، وأسلموا". خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص: 230.

حرف الشّين أي المعجمة

[شُكْرُ الوَسَائِلِ نَهْجُ الأَوَائِلِ، الشَّاهِدُ العَادِلُ يُنَافِي البَاطِلُ]

الوَسَائِلُ جمعُ وسيلة، وهي ما تتوصل به إلى الغير، ولا شكّ أنّ ما وصلك من خير من يد مخلوق أنّ الله سخّره وهداه، حتّى أسداه إيّاك، فلقد صار صاحب تلك اليد وسيلة، لا سيما وقد قال الشبلي وأحمد القرافي والصّوفية: " العبد لا يمدك مع مولاه شيئًا، إذا علمت هذا، فحقّ عليك شُكْرُ الوسيلة"/ 78/. هكذا ورد في حديث "**مَنْ لم يَشْكُرِ العِبَادَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ**"[1]، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾[2].

"والنهج" الطريق والمذهب، وأراد المصّر بالأوائل السّلف الصّالح، وإذا شكرت الوسيلة فأولى أن تشكر الأصل، لأنّ من شكر الفرع يشكر الأصل بالأولى، إلّا أنّ الله تعالى قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[3].

وقال تعالى في نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[4]. وقد كان سيف بن ذي يزن[5] نفى الحبشة عن اليمن بوسيلة أنو شروان ملك

(1) الصواب " مَنْ لم يَشْكُرِ النّاسَ لَمْ يَشكُرِ الله". ينظر: أحمد بن عجيبة، البحر المديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002، ج4، ص: 119.

(2) سورة لقمان، الآية: 14.

(3) سورة سبأ، الآية: 13.

(4) سورة الإسراء، الآية: 3.

(5) سيف بن ذي يزن (نحو 110-50 ق هـ / نحو 516-574م): هو سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو الحميري: من ملوك العرب اليمانيين، ودهاتهم. قيل اسمه معد يكرب. ولد ونشأ بصنعاء. وهو آخر من ملك اليمن من قحطان. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج3، ص: 149.

فارس، وقد قال الإمام الشعبي: "لو وجب السّجود لأحد لسجدنا للأبناء وسيف"، والأبناء بتقديم الباء أولاد الفرس الذين أتوا مع سيف، لأنهم ماتوا وبقي أبناؤهم، كما قال العلامة اليافعي في تاريخه، وقول المصّر: " والشاهد" الخ، يحتمل أنّه أراد بالشاهد الله تعالى لقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[1]، وهو العادل الذي لا عدل فوق عدله، حتّى أنّه إن عفا فبحلمه، وإن عذّب فبعدله. قال أبو سعيد بن لبّ: "فأفعاله طرا بعدل وحكمة".

ويلزم من العادل منافاته الباطل من قول أو فعل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾[2]. وقال: ﴿لَّعَنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[3]. وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4]، وقال: ﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ﴾[5] بهمزة الإنكار. ويحتمل أنّ مراد المصّر العادل من الشهود أي من توفرت فيه شروط العدالة لا يشوبه شيءٌ من الباطل من زور وغيره، إذ هو منافٍ لعدالته، ولمّا قال الصّحابة لعثمان رضي الله عنه، أنت كتبت في محمد بن أبي بكر بأمرك لمروان وطابعك على الكتاب. قال والله ما كتبت، ولا أمرت وأنّ الطابع عليه من قبل، فقال عليٌّ رضي الله عنه: " لا يشوبه باطل ولا يقرب ساحته، وإنّما هذا من عمل مروان وجدّه"، وصدّقه الصّحابة وقتله رعاع النّاس مثل كنانة بن بشير التجيبي وابن صافي وغيرهما.

المثل: "شَبَّ عَمْرو/ 79/ عَنِ الطُّوقِ"، هذا مثلٌ سائرٌ، وذلك أنّ مالكًا وعقيلاً الأُسدِيَيْن لمّا أتيا لجذيمة بعمر بن عدّي بن أخته رِقاش كما مرّ، أمر بطوق يجعل في عنقه، كما هي عادة أبناء الملوك في صغرهم إذ

(1) سورة الفتح، الآية: 28.
(2) سورة الأعراف، الآية: 28.
(3) سورة آل عمران، الآية: 61.
(4) سورة الشورى، الآية: 40.
(5) سورة العنكبوت، الآية: 67.

ذاك؛ فضاق عن رقبته، فقال: " شبّ عمرو عن الطّوق"، فذهب مثلاً، وعمرو هذا هو جدُّ ملوك آل محرق أهل الحيرة، ملكوا نحوا من خمسمائة عام، أوّلهم عمرو هذا وآخرهم النعمان بن المنذر، الذي قتله ابرويز، ومنذ صبّحهم الإسلام، انقضى ملكهم بالمنذر بن النعمان بن المنذر، قالت أخته هند ما نصّه:

وَكُنَّا نَسُوسُ النَّاسَ وَالأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا الآنَ نَحْنُ سُوقَةٌ نَتَكَفكفُ[1]

"شَرٌّ أَهَرُّ ذَا نَابٍ"، هذا مثلٌ يضربُ لمن سمع له صوت حزن ونحوه، والهرير صوت الكلب دون النُّباح، قال النّحاة: سوّغ الابتداء بالنّكرة ما فيها من معنى الحصر، أي ما أمره إلا لشرّ من برد ونحوه، وغالبه يكون من السلوقي منسوب لسلوقة مدينة بأرض الروم ما فيها إلّا ذاك النوع.

(1) الصّواب: إِذَا نَحْنُ مِنْهُمْ سُوقَةٌ نَتَنَصَّفُ.

حرف الهاء

[هَوَاكَ إِذْلالٌ، وَبِالبَذْلِ تَنَالُ، هُيَامُكَ فِي الغَيِّ نِهَايَةٌ فِي العَيِّ]

تقدّم لنا في هذا الكتاب كثير ممن ذكر الهوى، ولا شكّ أنّه ذلٌّ لصاحبه، وربّما تنال بذلك الذّل ما لا تنال بالعزّ، والهُيام في الغيّ الرشد هو نهاية العي، وضيق المسالك وصعوبتها عليك.

يُقال: "رجلٌ عيٌّ" أي ليس بفصيح اللّسان، ولله در أبي الحسن الملقب بالغراب الصفاقسي، ولا شكّ أنّه خاتمة الأدباء، توفي أواخر القرن الثاني عشر رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى، ومن نظمه العجيب ومأخذه الغريب قوله في الهوى، وإذلاله والغيّ وأهواله "وساقٍ سقاني، شبه دمعة أماق على خدّ ذلّ كي تنال أشواق". ما نصّه:

وساقٍ سقاني شبه دمعة أماق ... على خدّ ذلّ كي تناله أشواقي/ 80/
سقاني وشهب الليل منهن قد غدى ... يا ليت من غي فيه نهاية آفاق
وشاد على عود لنا راق لحنه ... يجاوبه شاد على عود أوراق
وقد طاب بالعودين مجلس أنسنا ... قعود لتحريك وعود لإحراقي
نخاف طلوع الشّمس وهي بكأسنا ... ومن خدّ ساقيها لها قبل إشراق
يدير علينا الرّاح راح يمينه ... ويعقب أقداحا لها كأس أحداق
أذلّ لهواه وأبذل ما سنى ... عن الكأس نقلا عن لماه بأطباق
غدت شهب الكاسات تشرق بيننا ... وتغرب في أفق الحشا بعد إشراق
وقد وعدتني الكأس تمليك وصله ... وواعدتها تمليك عقلي بميثاق
خلعت ثياب الخزّ عنها وطوقت ... يدي جيدها والتفت السّاقُ بالساق

وله أيضًا رَحِمَهُ اللهُ بمنّه ما نصّه:

يـقـولـون الـغـرابُ إذا تـبـدّى يـدُلُّ عـلـى تـفـرّق كـلّ خـلّ
وهـل قـالـوا الـغـراب لـه غـراب يـخـبـر بـالـفـراق لـه ويـمـلـي
رأيـت الـبـيـن جـار عـلـيَّ حـتّـى غـداك الـثـقـفـي عـنـدي خـيـر عـدل
فـهـا أنـا شـبـت ثـم شـاب شـيـبـي ولـم أر شـائـبـا فـي الـسِّـنِّ مـثـلـي
لـيـأت لأسـألـه مـن قـال يـومـا إذا شـاب الـغـراب أتـيـت أهـلـي

المثل: "هذا ومذقه خير"، والمذق اللّبن الذي غلب عليه الماء، قال الأعشى:

حَـتَّـى إِذَا جَـنَّ الـظَّـلَامُ وَاخْـتَـلَـط جَاءُوا بِـمَـذْقٍ هَـلْ رَأَيْـتَ الـذِّئْـبَ قَـطْ

وأصل هذا المثل أنّ خشوشًا كانت امرأة شابة جميلة، فزوّجها أبوها من عمير رجل مُسنّ؛ فكرهته وسألته الطّلاق، فطلّقها وتزوجت عمرًا، وهو شابٌّ إلّا أنّه فقير، فكان ذات يوم جالسًا معها، إذا أقبلت إبل عمير كاللّيل فبعث له/ 81/ تسترفده أي تطلب منه لبنا للغذاء، فلمّا قال له المرسول رسالتها، قال له: قل لها الصّيف ضيّعت اللّبن فسار مثلاً، فلمّا انقلب الرسول وأخبرها، ضربت على كتف زوجها عمرو وقالت: هذا ومذقه خير، فسارت مثلاً أيضًا.

وخصّ عمير الصّيف لأنّها سألت الطلاق فيه. قال علقمة بن عبدة التميمي ما نصّه:

يُـرِدْنَ ثَـرَاءَ الـمـالِ حَـيْـثُ عَـلِـمْـنَـهُ وشَـرْخُ الـشَّـبَـابِ عِـنْـدَهُـنَّ عَـجـيـبُ
إِذَا شـاب رأسُ الـمَـرْءِ أَو قَـلَّ مـالُـه فـلـيـس لـه فـي وُدِّهِـنَّ نَـصِـيـبُ

"هوت دعة من يهواها"، هذا مثلٌ سائرٌ للمساعفة، لأنّ دعة هذه أسهل النساء نكاحا، فإذا قال لها أي رجل خطب قالت: نكحي، ويقال في مثل آخر "أسهل من نكاح دعة"، يقال إنّها كبرت، ولم يبق فيها إربٌ للرجال اتخذت حمارًا وأتانا تزنيه عليها حتّى تسمع وتبصر وَقْعَ الجِمَاع لمّا تعذّر فعله منها.

حرف الواو

[وَالِ مَنْ وَالاكَ، وَعَادِ فِي مَوْلاكَ، الوَلِيُّ المُعْجَبُ بِنْسَمَا صَحَبَ]

وَالِ أي صِلْ واصْحَبْ مَنْ وَالَاكَ، أيّ وصلك وصحبك، وعَادِ في الله وابغض فيه. وقد كان رسول الله ﷺ لا ينتقم لنفسه، وإنّما ينتقم لله ولا يغضب انتصارًا لنفسه، بل غضبه انتصارا لله. وقتله النّضر بن الحارث بن كلدة القرشي بالصّفرا أو بالأثيل، كما لابن هشام لا انتصارا لنفسه، بل لقول النّضر لقريش، " ما يتلو محمد من القرآن، أنا أقصُّ عليكم من أخبار كسرى وقيصر ما هو أحسن منه وأجود". والنّضر هذا هو الذي قال: سأنزل مثل ما أنزل الله، وكذا ابن خطل وعقبة بن معيط. وقد قال ﷺ: "**مَنْ لِي بِكَعْب بْنِ الأَرث، فَقَد آذَى اللَّه**"، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

وأمّا غضبه لنفسه فيحلم في القائل ويقول رحم الله موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر، ألا ترى إلى ما قال له خصم الزبير بن العوام كما في صحيح البخاري/ 82/ وعفا عنه مع إرادة عمر قتله، وما قال له الذي قال له عليه ﷺ، دين زرع أشمّ يا بني عبد المطلب أهل مطل، وجنده من ردائه، فعفا عنه. ثمّ إنّ ذلك اليهودي أسلم فقال له علماؤهم كابن صوريا الأعور، ومالك بن الضيف، تبًّا لك تبعت محمدًا، فقال: ما من شيء إلّا جرّبته فيه، وما بقي إلّا هذا فجرّبته فيه؛ فأشهد أنه نبي رسول.

وأمّا لله فهو أشدّ من كلّ أحد، ألا ترى إلى التي سرقت، وقد أتى أهلها لمحبّه وابن محبّه العامّة ابن زيد بن حارثة يرغب رسول الله ﷺ

في سقوط قطع يدها، فغضب وأمر بقطعها في الحين، وعاداه في الله إلى أن عفا عنه، وقال: " والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها "[1].

وقال ابن عطاء الله في الحِكَم: " لَا تَصْحَبْ مِنْ لَا يُنْهِضُك حَالُهُ وَلَا يَدُلُّ عَلَى اللَّهِ مَقَالُهُ". **فقلت**: "وقد اقتدى الصّوفية برسول الله ﷺ في عدم الانتقام لأنفسهم. فدعي رجل صوفي لطعام، فلمّا دخل نَهَرَهُ وَشَتَمَهُ. وقال له من أدخلك داري، فخرج ولم يفه شيءٌ، ثمّ عاوده مرتين؛ يفعل به مثل الأولى، ثمّ قال له: ما لك لا تغضب، قال: لا أنتقم لنفسي".

وقول المصّر: "الوَلِيُّ المُعْجَبُ بِئْسَمَا صَحَبَ" أي الملك المعجب بنفسه بِئْسَمَا صحب من هذا الإعجاب أو بئست صحبته فلا خير فيها.

وكان أنوشروان ملك الفرس قد أعطى من موافقة الأقدار ومساعدة الدّهر، وزين الأيّام ما لا يُوصف، وقد ملك نصف المعمورة، فإذا ركب وتبعته الجنود، ولاحت على رأسه البنود، ولا سيّما الرّاية الكبرى التي لم يكن مثلها في الدّنيا المسمّاة "درفشكا بيان" قد اتخذ مزربان من علمائهم يقول له ساعة بساعة، أنت عبدٌ ليس برعد يثير رأسه، أيّ نعم وتلك عادته لئلّا يدخله الإعجاب؛ فيدعى دعوى نمرود وفرعون، مع أنّه ملك أكثر منهما، فغلب عقله على هواه مع أنّه جاهلي، ولمّا تعجّب فرعون في نفسه، قال: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾[2]، ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا

(1) ينظر: البخاري، صحيح البخاري أحاديث الأنبياء (3288)، مسلم، صحيح مسلم الحدود (1688)، الترمذي، سنن الترمذي الحدود (1430)، النسائي، سنن النسائي قطع السارق (4898)، أبو داود، سنن أبو داود الحدود (4373)، ابن ماجه، سنن ابن ماجه الحدود (2547)، أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل (6/ 162)، الدارمي، سنن الدارمي الحدود (2302).

(2) سورة الزخرف، الآية: 51.

ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾[1]، و﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾[2]، عاقبه الله بالغرق وقتل نمرود بباعوضة، وهي أضعف خلق الله تعالى، وكان النّاصر ولد يعقوب المنصور غزا كفرة الأندلس في ستمائة ألف، وتعجّب في نفسه فهزمه الكفار؛ فدخل إشبيلية في تسعمائة فارس سنة تسع وستمائة، ثمّ عزم على العود فتوفي في السّنة بعدها.

تنبيه: المهلكات كثيرة وأعظمها ثلاث كما في الحديث: "**وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَشُحٌّ مُطَاعٌ، وإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ**"، وقالوا: "لا تعجب فتهلك نفسك وتتعب". **المثل**: "وَلَا يَومُ الطِّين". هذا مثلٌ سائرٌ، وأصله أنّ نساء الأعراب كن يبعن في إشبيلية الحطب والبيض والجبن ونحو ذلك، فنزل مطرٌ وكثرت الطّين فصرن يكشفن عن أرجلهنّ وسوقهنّ ويمشين فيها، فأشرفت عليهنّ الرميكا[3] وبنتها بثينة وجواريها، وصرن ينظرن إليهنّ ويضحكن، فقالت الرميكا لزوجها المعتمد بن عبّاد: اجعل لنا طينا من مسك وكافور وسائر الطّيب، ففعل وصرن يطأنه كاشفات سوقهنّ، ويضحكن، ولمّا حصلوا في يد يوسف بن تاشفين وأسكنهم في أغمات، فجرى كلامٌ بين الرميكا والمعتمد، فقالت: لم أر منك خيرًا قطّ. قال لها: ولا يوم الطين فسكتت، فصار مثلاً لمن أنكر الخير وكفره.

(1) سورة الزخرف، الآية: 52.

(2) سورة القصص، الآية: 38.

(3) في الأصل تدعى الرميكية، وهي اعتماد الرميكية (ت488هـ/ 1095م): شاعرة أندلسية، كانت جارية لرميك بن حجاج فنسبت إليه، وآلت إلى المعتمد بن عباد، فتزوجها، وولد له منها: عباد الملقب بالمأمون، وعبيد الله الملقب بالرشيد، ويزيد الملقب بالراضي، والمؤتمن، وبثينة الشاعرة، وهي صاحبة (يوم الطين). خير الدين الزركلي، الأعلام، ج1، ص: 334.

حرف الياء

[يَأْتِيكَ مِنَ الأَمْرِ مَا لا تَدْرِي وَتُضْمر، اليَمِينُ قَبْلَ السُّؤَالِ مَطيَّةُ الضَّلاَلِ]

قول المصّر: "يَأْتِيكَ مِنَ الأَمْرِ مَا لَا تَدْرِي وَتَضْمَر"، هو حدٌّ بيانيٌّ كحدٍّ لعقد البيت المشهورة، وهي:

ستُبْدي لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ويأتيكَ بالأخبارِ من لم تزوِّدِ

وقال الحكماء: " الدَّهْرُ أَبُو العَجَائِبِ وَمَظْهَرُ الغَرَائِبِ". قال ابن دريد: / 84/

إنّي حَلَبتُ الدَّهرَ شَطرَيهِ فَقَد أَمَرَّ لي حيناً وَأَحياناً حَلَى

قلت: الصّواب العكس، ألا ترى إلى قول الصّوفية: " الدّنيا أصلها كدر وسرورها ربح"[1]، وقولهم: " لا تأمن من الأكدار ما دمت في هذه الدّار"، وقوله هو نفسه في هذه المقصورة أيضًا ما نصّه:

لا تَعجَبَنَّ مِن هالِكٍ كيفَ هَوَى بَل فَاِعجَبَنّ مِن سالِمٍ كَيفَ نَجا

إلى غير ذلك، ولو قال ما نصّه:

إنّي حَلَبتُ الدَّهرَ شَطرَيهِ فَقَد أَمَرَّ أحياناً وَلي حيناً حَلَى

لكان أولى. وقول المصّر: "اليمين قبل السّؤال مطيّة الضّلال".

اعلم أنّ اليمين فيها للشارع غرضٌ وطلبٌ في المحافظة عليها، لقوله تعالى: ﴿**وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ**﴾[2]. وفي الحديث "**الحلفُ بالطَّلاق وَالعتَاق**

(1) رأيت هذا البيت في بعض كتب الجاحظ، وهو قولهم: فعيشها نكد، وطعمها نكد، وشربها رنق، وملكها دول. من كاتبه. أبو راس الناصر، إسماع الأصم، وو: 85.

(2) سورة المائدة، الآية: 89.

مِنْ أَيْمان الفُسَّاق". وقال أيضًا: "**احْلفُوا بِاللَّهِ وَاصْمتوا**". وإذا حلفتها قبل سؤالها منك، فذلك يمين الحرج والوعيد، ألا ترى أنّ الخصم إذا حلفها قبل رضا خصمه أو في غيبته، فتعاد ولو بحضرة القاضي، إلّا في مسائل فيكتفى بتحليف القاضي كتحليفه لزوجة الغائب لتأخذ نفقتها من ماله، ونحو قوله قبل السّؤال أي من الخصم أو قبل موجبها. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾[1].

وقوله: "مطيّة الضّلَالِ"، المطيّة أصلها لغة المهرية النجية التي تركب، ومراد المصّر هنا مطلق ما يركب، والضّلال الجور والكذب والتمرد والكفر والنفاق، أي أنّ مركوب الضّلال أو الإقامة بيانية، أيّ المركوب الذي هو الضلال نحو قولك فلان ركب الباطل من المجاز العقلي، أيّ مركوبه الباطل، أو من مجاز الاستعارة. انظر ذلك في محلّه. ويحتمل أنّ معنى مطيّة الضّلال أيّ إلى النّار. / 85/

المثل: "يُؤْتى الحِكْمَة فِي بَيْتِهِ". هذا مثلٌ سائرٌ، قالوا كما في كبير الدميري، أنّ الذّئب والثعلب تحاكما للضبّ، فقالت الثعلب: وجدت رطبة، فقال الضّب: الصّيد لمن أخذه، ثم قالت: خطفها الذئب. فقال: أثر نفسه، فقالت: وأكلها، فقال: هنيئًا. فقالت ولطمته، فقال: بحقّك أخذت، قالت: فاقض بيننا، قال: قد قضيت، فقال له الذئب: اخرج عندنا واقض بيننا، فقال: يؤتى الحكمة في بيته، متحيلا ليأكله ففطن لهما.

لطيفة ظريفة: دخل عدي بن أرطأة على القاضي شريح بالكوفة، فقال: إنّي رجل من أهل الشام، فقال شريح: من مكان سحيق. قال: وإنّي سكنت هنا. قال شريح: بالرّحب والسّعة، قال: وإني تزوجت، فقال: بالرّفاه والبنين. قال: وشرطت أن لا أخرج قال شريح: الشرط

(1) سورة البقرة، الآية: 224.

أملك، قال: فاقض بيننا، قال: قد قضيت، قال عدي: على من؟، قال شريح: على ابن أمّك قال: بشهادة من؟، قال: بشهادة ابن أخت خالتك، فذهب محكومًا عليه، وتعجّب النّاس من فصاحة شريح.

تكميل: قول المصّر: ولا حرف الهمزة إلخ، يشمل همزة القطع الممدودة وغيرها. إلّا إذا ذكر هنا مثلاً في الممدودة لأجل براعة الاختتام، وهو قول علي رضي الله عنه آخر الدّواء الكيّ، وذلك أنّ عليًا رضي الله عنه لمّا بويع بالخلافة اضطربت عليه عُمَّالُ عثمان رضي الله عنه، وكان أول من بايعه طلحة ثمّ الزبير ثم المهاجرون والأنصار رضي الله عن الجميع، ثمّ إنّ طلحة والزبير خرجا لمكّة وتبعتهما أمّنا عائشة مورثين بالفطرة، وأتى يعلى بن منبّه، وأخوه زيد عاملا عثمان على اليمن، وتحدثا على الطلب بدم عثمان، فأتباع يعلى حملا بأربعمائة دينار، وجعل عليه هودجًا لأمّنا عائشة/ 86/ وساروا في ثلاثين ألفًا.

وسمعت من أكبر مدرّسي مصر أنّ عائشة ما ذهبت إلا للإصلاح بين النّاس، وخرج علي من المدينة في أربعة آلاف، وأتاه من الكوفة تسعة آلاف مع ابنه الحسن وعمّار بن ياسر، وغير معاوية بالشّام، فعند ذلك قال علي رضي الله عنه: "أقيم هذا الأمر ما استقام، وإلّا فآخر الدواء الكيّ"، فذهبت مثلاً. وكذا رأيت للشيخ موسى بن عيسى بن أبي زكرياء المغيلي، أنّ أمّ المؤمنين رضي الله عنها، إنّما ذهبت للإصلاح، لمّا سأله عن ذلك الشيخ يحيى بن راشد، أحد أجداد الشيخ محمد بن عودة، فوقع ما هو معلوم.

قال الحافظ بن جرير الطبري: " وكانت إذا قرأت بعد ذلك: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[1] تبكي حتّى تَبلَّ خِمَارَها، وتقول: ليتني متُّ قبل ذلك"، يوم الجمل بعشر سنين. "وودّت أنّ لي عشرة بنين كعبد الرحمن بن الحارث ثمّ يموتون في حجري ولم أحضر ذلك اليوم".

(1) سورة الأحزاب، الآية: 33.

قال مؤلف هذه النبذة المبعوظة التي هي من كلّ علم ملفوظة، المذنب القاصر **أبو راس بن النّاصر**: هذا ما لخّصته الملكة المكلومة، والفكرة الملكومة، والقريحة القريحة، والجارحة الجريحة، والحافظة الغير المحفوظة، التي صيّرت كميم أفلح اعلم غير ملحوظة ملفوظة، في زمن يذهل الحامل عن حملها، والمرضع عن مغيلها، ويصدع الصّخرة من غير معولها، وإلى الله المشتكى، في الاضطجاع والاتكاء، فهذه المعيشة الضنكة، ومن الدّهر الّذي أعياني عيّا، وطوى أمالي طيّا، ولم يصن شقاه عن فرّه جورًا وليّا، وأجهضني وأمرضني وأمضني، وهضمني وأكضمني وكضني، وبضرسه عضّني، في الورد والصّدور، وأسأل العالم ما في الصّدور أن يفسحه بما تهوى النّفوس بدور، من العيش الغضّ، وسعادة الحظّ قبل الفوت بالموت.

قال القاضي عبد الوهاب: " الله أكبر، فلمّا عشت متُّ وأفدتُ متُّ"، ثمّ السّلام بعد الصّلاة على ذي المكارم والصّلاة، محمد المصطفى وآله الشرفاء، والأربعة الخلفاء، وسائر الصّحابة الحنفاء. آمين، آمين. والحمد لله ربّ العالمين، حمدًا لا ينقضي إلى حين.

قال ناسخ الكتب الثلاثة: وهذا شرح العقيقة، وتاريخ أخبار الأزمنة من آدام إلى الإسلام[1]، قد انتهى. ذلك أوائل ذي الحجّة الحرام سنة 1234هـ[2].

يا ناظم الخطّ أن تقف على خطأ فاصفح فإني كما علمت إنسان
ومن كذلك لا تخلو عزائمه من أن تشوبها غفلة ونسيان
وليغفر الله للجميع إنه لم يزل وشأنه غفار ورحمان

(1) يقصد بالكتب الثلاثة: الدرة الأنيقة في شرح العقيقة، وكتاب زهر الشمّاريخ في علم التاريخ، والكتاب الذي بين أيدينا: إسماع الأصم وشفاء السقم في الأمثال والحِكَم.
(2) ما يقابله 1819م.

ملحق الأمثال والحكم مع ترجمتها بالفرنسية[1]

TRADUCTION

– أ –

[أَدَبُكَ ثَوبُكَ، وَوَجْهُكَ عِرْضُكَ، وَالأَدَبُ سِلَاحُ زَمَانِ الكِفَاحِ]

Ta bonne éducation est ton vêtement et ta conduite fait ta considération, La politesse est une arme quand il faut intercéder.

– ب –

[بُرُّكَ بَذْرُكَ، فَمَا نَبَتَ زَرْعُكَ، البَذْرُ بُرٌّ، إِذَا كَانَ المَطَر]

Tes bonnes œuvres sont ta semence; ce qui poussera sera ton champ. La semence deviendra du froment s'il survient de la pluie.

– ت –

[تَرْكُ الذُّنُوبِ مَشْرُوعٌ وَمَطْلُوبٌ، التَّقْوَى زَادٌ، مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ]

L'oubli des fautes [d'autrui] est prescrit et désiré par la loi divine. La crainte de Dieu est un viatique inépuisable.

– ث –

[ثَوْبُكَ الجَدِيد، رَأْيُكَ السَّدِيد، الثَّبَاتُ سَيْفٌ فِي مَيْدَانِ الحِيفِ]

Ton vêtement neuf c'est un avis judicieux. La fermeté est un glaive dans l'arène de l'injustice.

– ج –

[جَرِّبْ وَاصْحَبِ الجُرْأَةَ عَلَى الأُسُودِ، تَكْرِيرُ رُؤْيَةِ الحَسُودِ]

Eprouve d'abord [d'abord] et lie-toi. La hardiesse vis-à-vis des lions c'est la confirmation des rêves des envieux.

---

(1) Voir le: http://www.setif-dz.org/t1155p300-la-poesie-populaire-algerienne-chi3r-el-malhoune

– ح –

[حَرْثُ المَرْءِ فِعْلُهُ، وَحُكْمُهُ طَبْعُهُ، الحُكْمُ دَالٌّ، مَدْلُولُهُ الأَفْعَالُ]

Les cultures de l'homme ce sont ses actes; son jugement dénote son naturel. Le jugement est un indice, il fait connaître les actions.

– خ –

[خَبَرٌ وَاهِي، لَيْسَ بِنَاهِي، الخُمُولُ حَبْلٌ وَثِيقٌ، وَهَمٌ وَثِيقٌ يَدْخُلُونَ فِيهَا]

Un renseignement incertain ne peut conduire au but. Le vrai ami est un répondant sûr, quel excellent ami! Quel excellent compagnon!.

– د –

[دَبِّرْ وَشَاوِرْ، الدَّهْر كَاسٌ، تسْقَى مِنْهُ النَّاسُ]

Avise, puis prends conseil. Le sort est une coupe où boivent les hommes.

– ذ –

[ذُلٌّ تَذَل، الذُّلُّ فِي الهَوَاءِ، وَالعِزُّ فِي التَّقْوَى]

Humilie-toi tu seras humilié. L'abaissement est dans la passion et l'élévation dans la crainte de Dieu.

– ر –

[رُبَّ دُرٍّ فِي نَهْرٍ، الرِّفْدُ لِلْحَرِّ كَالظِّلِ فِي الحَرْبِ]

On trouve parfois une perle dans un petit ruisseau. L'aide d'un homme généreux est comme l'ombre pendant la chaleur.

– ز –

[زُرْ حَبِيبَكَ، وَأَكْرِمْ طَبِيبَكَ، الزَّائِرُ عَلَى الغَبَائِنِ أَدِلَّةٌ فِي الحُبِّ]

Rends visite à ton ami et traite ton médecin avec égards. Celui qui espace ses visites en reçoit un accroissement d'amitiés.

– ط –

[طَرَفُكَ سَمْعُكَ، وَهَوَاكَ حَرَفُكَ، الطَّائِرُ يَنْزِلُ وَالعَاقِلُ يَذْهَلُ]

La noblesse de ton origine est ta flèche; c'est contre tes assions qu'il te faut combattre. L'oiseau se pose; le sage est sujet à la négligence.

– ظ –

[ظَنُّكَ مَا فِيكَ، وَنِيَّتُكَ تَكْفِيكَ، الظُّلمُ فِي النَّادِرِ يَزُولُ وَالحَسَدُ فِي الغَالِبِ يَطُولُ]

Avec le sentiment de ce qui est en toi, tes résolutions doivent te suffire contre toi-même. L'iniquité cesse rarement; l'envie persiste presque toujours.

– ك –

[كَادَ النِّفَاقُ، لِلْحَقِّ زُهَاق، الكَدُّ فِي الأَوَامِر، أَمَانٌ فِي المَقَابِرِ]

Peu s'en faut que l'hypocrisie n'étouffe la justice. Les efforts pour obéir aux ordres [divins] c'est la sécurité dans la tombe.

– ل –

[لَوْمُكَ لِلسَّفَلَة، كَالحَرْثِ فِي السَّبْخَة، اللَّوْمُ لِلْأَحْرَارِ كَالنَّقْشِ فِي الحِجَارِ]

Faire des reproches aux hommes vils c'est labourer un terrain salé; le blâme adressé aux hommes de sentiments nobles est comme l'inscription gravée sur la pierre.

– م –

[مِيزَانُ العَقْلِ يُرَجحُ العَدْل، المَيْلُ لِلْأُمُورِ بِالكُلِّيَّة جُورٌ]

La balance de la sagesse penche du côté de l'équité. La partialité dans les affaires est absolument de l'injustice.

– ن –

[نَارُ الشَّوْقِ، نُورُ الذَّوْقِ، النَّارُ جَنَّةُ طَوْعِ الأَحِبَّةِ]

Le feu du désir est la lumière du goût. Le feu [de l'enfer] est le paradis de ceux qui ont obéi aux génies.

– ص –

[صَدْرُ الحُرِّ مَعْدَنُ السِّرِّ، الصَّدْرُ صُنْدُوقٌ مَفْتُوحٌ أَوْ مَغْلُوقٌ]

Le cœur de l'homme noble ers l'antre des secrets. Le cœur est un coffre qui est ouvert ou fermé.

– ض –

[ضَلَالُ المَرْءِ سَيْفُهُ، وَبِهِ حَتْفُهُ، الضَّيْفُ كالظِّلِّ وَإِنْ طَالَ مُرْتَحِلٌ]

Ce qui égare l'homme c'est son injustice; c'est par elle qu'il périt. Que l'hôte te soit précieux comme l'ombre, même s'il tarde à repartir.

– ع –

[عِلمُكَ كَنْزُكَ، وَضَرّكَ نَفْعُكَ، العِلْمُ نُورٌ والعملُ سُرُورٌ]

Ton savoir est ton trésor. C'est ton mal qui fait ton bien. La science est une lumière et l'action un rempart.

– غ –

[غَيْبُكُ فِي النَّاسِ غَمْرُكَ فِي البَأْسِ الغَفْلَةُ بَحْرٌ مَا لَه قَعْرٌ]

Ton absence d'entre les hommes te plongera dans le malheur. L'imprévoyance est une mer sans fond.

– ف –

[فَازَ الخَفِيفُ عَلَى الكَثِيفِ، الفَارُّ مِنْ هَوَاه، الجَنّةُ مَأوَاهُ]

Le léger dépasse le lourd. Celui qui fuit ses passions aura le paradis pour séjour.

– ق–

[قِفْ مَعَ الحَقِّ وَلَا تَخْشَ الخَلْقَ، القَلبُ سُلْطَانٌ حَاجِبُهُ اللِّسَانُ]

Pratique la justice et ne redoute pas les hommes. Le cœur est un roi dont la langue est l'interprète.

– س –

[سَتْرُكَ لِلْعَبْدِ حَظُّكَ فِي الخَيْرِ، السَّاعِي فِي المَهَالِكِ بِلَا شَكٍّ هَالِكٌ]

La protection dont tu couvres ton prochain est ta part de bien. Celui qui affronte les dangers doit sûrement périr.

– ش –

[شُكْرُ الوَسَائِلِ نَهْجُ الأَوَائِلِ، الشَّاهِدُ العَادِلُ يُنَافِي البَاطِلُ]

La reconnaissance des services est la voie des hommes d'élite. Le témoin équitable éloigne l'injustice.

– هـ –

[هَوَاكَ إِذْلَالٌ، وَ بِالبَذْلِ تَنَالُ، هُيَامُكَ فِي الغَيِّ نِهَايَةٌ فِي العَيِّ]

Ton amour [pour Dieu] est de l'humilité et par l'humilité tu obtiendras ta récompense. Ta divagation* dans l'erreur te mènera aux dernières limites de l'épuisement.

– و –

[وَالِ مَنْ وَالَاكَ، وَعَادِ فِي مَوْلَاكَ، الوَلِيُّ المُعْجَبُ بِئْسَمَا صَحَبَ]

Traite en ami qui te traite en ami; considère ton maître comme un ennemi. L'ami qui plaît sera un compagnon dans le Ciel.

– ي –

[يَأْتِيكَ مِنَ الأَمْرِ مَا لَا تَدْرِي وَتُضْمر، اليَمِينُ قَبْلَ السُّؤَالِ مَطِيَّةُ الضَّلَالِ]

Il adviendra en fait d'événements ce que tu ne sais ni ne pourras dissimuler. Le serment avant la question est une monture qui conduit à l'erreur.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
البقرة			
﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾		44	34
﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾		197	44
﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾		224	135
آل عمران			
﴿لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾		61	127
النّساء			
﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾		129	93
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾		135	119
المائدة			
﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾		54	119
﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾		89	134
الأنعام			
﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾		33	81
الأعراف			
﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾		8	117

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾	28	127
﴿يَفۡقَهُونَ بِهَا﴾	179	92

التوبة

﴿وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾	84	85

هود

﴿حَنِيذٖ﴾	69	105
﴿بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ﴾	99	68

يوسف

﴿لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾	67	75
﴿عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾	111	

الرعد

﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾	13	115

الإسراء

﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾	3	126
﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾﴾	81	84

الحجّ

﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ﴾	46	92

الفرقان

﴿وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾	67	93

القصص

﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾	38	133

العنكبوت

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾	43	29
﴿أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾	67	127

لقمان

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾	14	126

الأحزاب

﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾	33	136

سبأ

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾	13	126
﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾	39	106

فاطر

﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾	10	117

الشورى

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾	40	127
﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ﴾	45	74

الزخرف

﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾	51	132
﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾	52	133

الفتح

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾	28	127

الحجرات

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾	12	77

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾	12	113
﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾	13	44

الذاريات

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾﴾	11	113

الرحمن

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾	46	66

الحشر

﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾	20	65

القلم

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾	51	75

الإنسان

﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	31	104

النازعات

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾	40	65
﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾	37 ـ 39	65

الفجر

﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾﴾	5	92

الزلزلة

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾	7-8	39

فهرس الأحاديث النبوية

أطراف الحديث	الصفحة
"أقيلوا العثرات من ذوي الهيئات"	35
"إنّ من الشعر لحكمة"	37
"تصدق ولو بظلف محرقا أو بشق تمرة"	39
"الصاحب كالرقعة في الثوب"	50
"نِعْمَ العَبدُ صُهَيبُ"	54
"افعل ما بدا لك، الحرب خدعة"	62
"زر غبنا تزدد حبا"	71
"إنما الأعمال بالنّيات"	78
"إن الله لينتقم من ظالم بظالم"	81
"الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب"	105
"ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن"	109
"قاتلهم الله شغلونا عن الصلاة الوسطى"	109
"إنّما الأمر لله ولكن أجعل لك أعنة الخيل في سبيل الله"	114
"خيركم بعد المائتين والألف خفيف الحاذي"	118
"لو سترته بثوبك"	122
"يا رسول الله ادع الله أن أكون منهم فقال ﷺ أنت منهم"	125
" سبقك بها عكاشة..."	125
"من لي بكعب بن الأرت، فقد أذى الله"	131

فهرس الأعلام

-أ-

الآبي أبو سعد 86

الأبرش الكلبي 45

إبراهيم بن أدهم 58

الأشعث بن قيس 91

أحمد بابا التنبكتي 13

أحمد الذهبي السعدي السلطان 56

أحمد بن خضرويه 65

أحمد زروق 96

أحمد بن عطاء السكندري 14

أحمد بن نصر 120

أحمد بن يوسف الملياني 86

أحمد أبو العباس المقري 14

الأسود بن غفاء الجديسي 124

إسحاق بن إبراهيم الموصلي 88

أبو إسحاق إبراهيم الصابئي 103

أرسطو الحكيم 102

أفلاطون 120

أربد بن قيس 115

أردشير بن بابك الساساني 112

الأعرج الغساني 64

الأعشى عبد الله بن الأعور المازني 60

أوس بن حارثة 64

أنوشروان 76، 112، 132

-ب-

أبو بكر الصديق 87

أبو بكر بن الطاهر بن بشير 93

بشر الحافي 40، 58

أبقراط 120

ابن الأبرص 51

-ت-

تاج الدين السبكي 13

تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين 41، 133

-ج-

ابن أبي جمرة 117

جذيمة عمر بن عدي 41

أبو جعفر المنصور 35، 55

أبو جندل بن سهل 124

أبو القاسم الجنيد 40

ابن جنّي أبو الفتح عثمان 72

-ح-

أم حاتم الطائي عتبة 54

الحارث بن هشام 41

الحسن البصري 117

أبو الحسن الشاذلي 43

حرب بن أمية 76

أبو حنش 95

الحسن بن علي 46، 47

الحجاج بن يوسف الثقفي 90، 116

حذيفة بن اليمان 84، 102

الحلاج أبو منصور حسين 96، 97

أبو حامد الطوسي 57

أبو حيان التوحيدي

-خ-

خالد بن عبد الله القسري 55

خباب بن الأرت 44

خولة بنت ثعلبة 83

-د-

أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي 50

ديك الجن الشاعر 98

-ذ-

أبو ذؤيب الهذلي 46

-ر-

رباح بن مرة 124

روح بن حاتم المهلبي 100

-ز-

الزباء بنت عامر بن الضرب 40

زيد بن علي بن الحسن 32

-س-

سالم بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري 94

أبو الحسن الششتري 97

أبو سفيان 41، 81

سيبويه أبو بشر 37

أبو سعيد بن لبّ 127

سجاح بنت الحارث

سعيد بن المسيّب 32

سيف الدولة ابن حمدان 75

الشيخ السنوسي 21، 31

سليمان بن جرير 56

سليمان بن فهر الأزدي الموصلي 72

-ش-

شهاب الدين الخفاجي 13، 121

الشعبي أبو عمرو الهمداني 127

-ص-

صفوان بن أمية 41

-ط-

أبو طالب المكي 58

طليحة بن خويلد الأسدي 125

أبو الطيب المتنبي 72، 75

-ع-

عائشة أم المؤمنين 34، 39، 136

عائشة بنت طلحة 59

عاصم بن محمد بن عثمان بن عباد 107

عامر بن الضرب العدواني 73

أبو عمرو الأوزاعي 111

عبد الله السّفاح 113

عبد الله بن جدعان 76

عبد الله بن صرح 14

عبيد الله بن ظبيان 59، 60، 88

عبد الله بن الزبير 46، 59، 60

عبد الرحمن الداخل 93، 123

عبد القادر الجيلاني 98

عبد المؤمن بن علي 41

عتاب بن ورقاء 60

عثمان بن عفان 103

عروة بن الزبير 45

عروة بن أدنية 90

أبو عبد الله المواق 94

أبو العباس الحضرمي 96

أبو عمر بن العلاء 88

أبو علي الفارسي 52

ابن عباد 133

عمر بن ذر 31

عمر بن الخطاب 93

عمر بن عبد العزيز 90، 119

علي بن أبي طالب 32

علي بن الجهم 121

عكرمة بن أبي جهل 41

عمرو بن العاص 90، 95، 99

عمرو بن هند 51، 66

العوام بن أسد بن عبد العزى 76

عيسى عليه السلام 53

عيسى بن موسى التجيني 14، 102

عكاشة بن محصن 125

-ف-

أبو الفتوح يحيى بن حسين 96

الفضيل بن عياض 111

-ق-

أبو القاسم القشيري 33

قيس بن زهير 64

-ك-

كعب بن الأشتر 70

كعب بن أمامة 105

كليب بن ربيعة 73

-ل-

لبيد بن ربيعة العامري 101

الليث بن سعد 65

-م-

ماعز بن مالك 122

المأمون العباسي الخليفة 54

محمد بن الحنفية 93

محمد بن عودة الشيخ 136

محمد بن عباد 33

محمد بن غانم 32

امرؤ القيس الشاعر 42، 51، 107

مسلم بن عبد القادر 6، 7، 8، 29

مسلم بن الوليد 36

مسلمة بن عبد الملك 55، 89

أبو مدين الغوث 40، 57، 97

ابن مرزوق الحفيد 42، 63

معاوية بن هشام 123

المعتصم العباسي 71

المنذر بن النعمان 128

المنصور بن أبي عامر 47

مهلهل بن ربيعة 73

-ن-

أبو نائلة 70

أبو نعيم الأشجعي 62

أبو نصر الفارابي 31

أبو نواس الشاعر 47

ذو نواس 41

النعمان بن المنذر 128

-هـ-

هارون الرشيد 36، 65، 87، 106

أم هانئ 41

هشام بن عبد الملك 32، 45، 55، 123

-ي-

يزيد بن معاوية 46

يوسف بن عمر الثقفي 55

ذو يزن 41، 126

فهرس الأماكن والبلدان

-أ-

إشبيلية 57، 133

إفريقية 56

-ب-

البصرة 68، 94، 117

بغداد 50، 65، 107

بحر القطيف 68

بحر عيذاب 68

بحر الروم 68

-ح-

الحجاز 47

حلب 96

-د-

دمشق 55، 59، 64

-ص-

صفين 91، 93، 94، 95

-ط-

طوس 57

-ع-

العراق 55، 59، 60، 104، 117

-غ-

غزالة 57

-ف-

فاس 56

-ق-

القلعة 86
قرطبة 93
قيطنة 57
القسطنطينية 61

-م-

مصر 21، 65، 66، 125، 136
مراكش 56
المدينة 56، 136
مغيلة 123
المغرب الأوسط 123
المغرب الأقصى 19
الموصل 72

-ك-

الكوفة 55، 93، 100، 136

-ي-

اليمن 121، 124، 126، 136

فهرس القبائل والأسر

– أ –

أرم 70
بني أمية 55
الأحزاب 62، 85

– ب –

بسوس 37، 64
بكر بن وائل37، 73
بني بويه 72

– ت –

التتابعة 41
تميم 62، 66، 67

–ج–

الجزيرة 104

–ح–

الحبشان 41

–د–

داحس 64

–ذ–

ذبيان 64

– ر –

بني راشد 17، 86

– س –

سام 70
السلجوقيين 93

– ش –

بني شيبان 37، 73

– ع –

عاد 70
بني العباس 100، 123
عبس 64
علويين 87

– غ –

غبراء 40، 64
غطفان 62

– ف –

الفرس 41، 75، 132

– ق –

بنو قريظة 62
قريش 34، 41، 62، 76، 81، 84، 124

–ك–

كنانة 76

–م–

المدائن 67
بنو مخزوم 76
بني مرة 62
مرو 114

–ن–

نوح 70، 103، 126

–هـ–

بني هاشم 87

– ي –

اليهود 53، 62، 70، 85

فهرس المحتويات

تقديم 5
أ ـ مخطوط إسماع الأصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم 6
ب ـ نسخة المخطوط 10
ج ـ عملنا في التحقيق 11
د ـ مصادر مؤلف المخطوط 12

قسم الدراسة

التعريف بالمؤلف 17
حياته 17
مولده 17
شيوخه وإجازاته 18
شيوخه 19
تلامذته 21
آثاره العلمية 24
وفاته 24
نماذج من صور المخطوط 27

قسم التحقيق

إِسْمَاعُ الأَصَمِّ وَشِفَاءُ السَّقَمِ فِي الأَمْثَالِ وَالحِكَمِ للشيخ أبي راس الناصر المعسكري (ت1823م)

مقدمة المؤلف 29
حرف الألف 31
[تعريف الحكمة] 37
[الفرق بين المثل والجاري مجراه] 38

حرف الباء 39
حرف التاء 42
[عَظَمَةُ الذنبِ عَلَى وَجْهَيْنِ] 43
حرف الثاء 46
حرف الجيم 49
حرف الحاء 53
حرف الخاء 57
حرف الدّال 62
حرف الذّال 65
حرف الراء 68
حرف الزاي 71
حرف الطاء 74
حرف الظاء 77
حرف الكاف 84
حرف اللام 89
حرف الميم 92
حرف النون 96
حرف الصاد المهملة 101
حرف الضاد أي المعجمة 104
حرف العين 109
حرف الغين أي المعجمة 113
حرف الفاء 116
حرف القاف 119
حرف السّين 122
حرف الشّين أي المعجمة 126
حرف الهاء 129

حرف الواو 131
حرف الياء 134
ملحق الأمثال والحكم مع ترجمتها بالفرنسية 138
فهرس الآيات القرآنية 143
فهرس الأحاديث النبوية 147
فهرس الأعلام 148
فهرس الأماكن والبلدان 152
فهرس القبائل والأسر 154
فهرس المحتويات 157

’ISMĀʿ AL-’AṢAM WA ŠIFĀ’ AS-SAQAM FĪ AL-’AMṬĀL WAL-ḤIKAM

BY
AL-SHAYKH MOHAMMED ABU RAS
AL-NASER AL-MOAASKARY
(D. 1238 H.)

EDITED BY
DR. HAMDADOU BENAMAR
AND:
DR. FAIZA BOUSLAH

دار الكتب العلمية®
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban